# مجتمع بِلادِ الحِجَازِ وأعمال السلب والنهب خِلاَلَ القَرْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ وَالثَّالِثِ عَشَرَ الهِجْرِيَّيْنِ/ الثَّامِنِ عَشَرَ وَالتَّاسِعِ عَشَرَ المِيلاَدِيَّيْنِ

## فِي ضُوءِ كِتاباتِ الرَّحّالة

**د/ كريمة السيد أحمد حسن محمد النجار**

**كلية الآداب– جامعة الزقازيق**

**مستخلص:**

تتناول الدراسة أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز من خلال كتابات الرَّحّالة الذين زاروا الجزيرة العربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين/ الثاني عشر الثالث عشر الهجريين. ويهدف البحث إلى مناقشة هذه الأعمال، وعرض لأهم الأسباب التي كانت دافعًا لتفشيها، ثم الكشف عن أنواع السلب والنهب داخل المجتمع الحجازي والأساليب والطُرق المُستخدمة في عمليات السلب والنهب، وتوضيح تأثير السلب والنهب على مجتمع بلاد الحجاز، وسوف تُختتم الدراسة بتبيان الجهود التي بذلتها السُلطات المركزية والمحلية للتصدي لأعمال السلب والنهب، وأليات التصدي لها.

**الكلمات المفتاحية:**

بلاد الحجاز– النهب– قطاع الطرق– السلب– الرحالة– قوافل الحجاج.

**Abstract:**

This study examines the attitude of Hejaz society toward acts of plunder and looting, as reflected in the writings of travelers who visited the Arabian Peninsula during the eighteenth and nineteenth centuries (the twelfth and thirteenth centuries AH). The research aims to discuss these acts, present the main causes behind their prevalence, and identify the various forms of plunder and looting within Hejaz society, along with the methods and techniques employed in carrying them out. It also seeks to clarify the impact of these practices on the Hejaz community. The study concludes by outlining the efforts exerted by both central and local authorities to combat such acts and the mechanisms adopted to curb them..

**مقدمة:**

تتناول هذه الدراسة موضوع أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز، والذي يعد من الموضوعات المهمة لفهم حياة المجتمع الحجازي، لما ارتبطت به هذه الأعمال بكثير من العوامل التي أدت إلى تفشيها من عوامل أمنية، وسياسية، وأخرى اقتصادية، كما كان لموقع الحجاز، بوصفه طريقًا رئيسًا للحج والتجارة، دورٌ في زيادة هذه الأعمال نتيجة لمرور تلك القوافل. ويهدف هذا البحث إلى دراسة أنواع السلب والنهب وأسباب انتشارها، وتحليل آثارها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على المجتمع الحجازي، والكشف عن ما قامت به السلطتين المركزية، والمحلية، وقبائل الحجاز للتصدي لتلك الأعمال.

تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال تركيزها على أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وهي فترة شهدت تحولات سياسية، واقتصادية، واجتماعية عميقة، تزامنت مع التوسع العثماني في المنطقة، وسيطرة محمد علي باشا على بلاد الحجاز، ثم سيطرة الوهابيين والدولة السعودية الأولى. ورغم توصيف هذه الأعمال باعتبارها إحدى نتائج الاضطراب السياسي، والأمني والاجتماعي، فإنها لم تحظ بالدراسة الأكاديمية المُستقلة. وتكمن أهمية دراسة هذه الظاهرة في أنها لا تتوقف على كونها دراسة لجانب من جوانب الانفلات الأمني، بل ودراسة لفهم أعمال السلب والنهب من منظور كتب الرحلات الأجنبية والعربية.

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على أسباب انتشار السلب والنهب، وتحديد الفئات المتورطة فيها، وكذلك أساليب وطرق السلب والنهب، وردود الفعل المختلفة تجاهها من قبل السلطة المركزية والمحلية بالحجاز. كما تسعى إلى توثيق العقوبات المُطبقة، وتقييم فاعليتها في التصدي لهذه الأعمال. وتُخصص الدراسة أيضًا حيزًا مهمًا لتحليل الوثائق التاريخية ذات الصلة. كما تعتمد الدراسة أيضًا على بعض المصادر والمراجع المتخصصة جنبًا

إلى جنب مع المصادر الرئيسة التي اعتمدت عليها الدراسة وهي كُتب الرحالة الأجانب والعرب.

أما عن أسباب اختيار الموضوع فتعود إلى عدة أسباب منها: عدم وجود دراسة مُتَخصِصة تناولت أعمال السلب والنهب في مجتمع بلاد الحجاز. ورصد نواع أعمال السلب والنهب في منطقة لها مكانتها الدينية، وبحث أسبابها، ووسائلها، ونتائجها. والكشف عن رؤية الرَّحّالة لهذه الأعمال، لا سيما في ظل ندرة الكتابات المحلية التي أرخت لتلك المنطقة في الفترة قيد البحث. ورصد الجهود التي بذلتها للتصدي لأعمال السلب والنهب، والتحديات التي واجهتها.

وتسعي الدراسة للإجابة على عدة تساؤلات منها: ما طبيعة أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين؟، وما العوامل التي ساعدت على انتشارها؟، ومن هي الفئات المتورطة فيها؟ وما هي الوسائل والطرق التي اتبعت في السلب والنهب؟، وكيف تصدت القوي المركزية والمحلية والمجتمعية لهذه الأعمال؟ وإلى أي مدى كانت العقوبات المُطبقة فعالة في الحد من هذه الأعمال؟

أما عن حظ هذا الموضوع من الدراسة، فلا توجد دراسة عربية تناولت هذا الموضوع –على حد علم الباحثة– وإنما وجدت دراسات سابقة أمكن الإفادة منها والبناء عليها. منها الدراسة التي نشرها الباحث حمد محمد جاسم القحطاني سنة ٢٠٠٢م والتي حَمِلت عنوان: "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز"، وفيها ألقى الباحث الضوء على الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية لإقليم بلاد الحجاز تحت الحكم العثماني. كذلك هناك دراسة إبراهيم فاعور الشرعة: "موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط

الحديدي الحجازي في القرنين التاسع عشر وبداية القرن العشرين" وهي دراسة ركّزت في الأساس على النزاع بين بعض القبائل العربية والدولة العثمانية خلال الفترة المذكورة.

وهناك أيضًا دراسة الباحثة الجزائرية لبصير سعاد المنشورة سنة ٢٠١٨م بعنوان: "الرحلة الحجازية في العهد العثماني (١٥١٨-١٨٣٠م) وهي مصدر أساسي للكشف عن الحدث التاريخي الاجتماعي "الآفات الاجتماعية نموذجًا"، وفيها استعرضت الباحثة جانبًا من الرحلات الحجازية من الجزائر إلى بلاد الحجاز في العهد العثماني، وركزت الدراسة على بعض الآفات الاجتماعية السائدة في بلاد الحجاز، والتي رصدتها أعين الرَّحّالة المغاربة، وكان لها أثر سلبي على المجتمع الحجازي. وقد ألمحت الباحثة إلى آفة السلب والنهب ضمن حديثها عن الآفات الاجتماعية السائدة، لكنها لم تدرسها دراسة مُفصلة، بل دعت الباحثة إلى ضرورة دراسة تلك الآفة بشكل أكثر تفصيلًا.

ثمة دراسة أخرى مهمة صدرت سنة ٢٠٢٢م تحت عنوان: "فئة السّراق في الحجاز خلال القرن ١٢ه/١٨م دراسة في العناصر والممارسات" للباحثة بلمداني نوال. ورغم أهمية الدراسة السابقة إلا أنها تناولت فئة السّراق ببلاد الحجاز في قرن واحد وهو القرن الثامن عشر الميلادي، واعتمدت الدراسة اعتمادًا كليًا على الرحالة العرب المغاربة الذين زاروا بلاد الحجاز من أجل الحج، ولم تعتمد الدراسة مُطلقًا على أية رحلة أجنبية غربية.

ولدينا أخيرًا دراسة د. مريم العتيبي، المنشورة سنة ٢٠٢٣م عن: "الوضع الأمني في نجد خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. واختصت الدراسة كما هو مُوضح بعنوانها بمنطقة نجد فقط، ولم تتطرق إلى منطقة بلاد الحجاز.

ومن خلال العرض الموجز السابق، يتضح أن تلك الدراسات لم تتناول موضوع السلب والنهب في بلاد الحجاز كموضوع مُستقل، ومن ثم رأت الباحثة كتابة ورقة بحثية عن هذا الموضوع المُهم.

واتبع البحث المنهج التاريخي القائم على تحليل ونقد المادة المصدرية ومحاولة مقارنتها بالمصادر المحلية إن وُجِدت، للوقوف على الوقائع التاريخية الصحيحة التي شكلت الموضوع قيد البحث.

واقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى تمهيد وأربعة محاور، يسلط التمهيد الضوء على أهمية الرحلات كمصدر لكتابة تاريخ الجزيرة العربية، أما المحو الأول فيكشف عن أسباب تفشي أعمال السلب والنهب ببلاد الحجاز في ضوء كتابات الرحالة. ويُلقي المحور الثاني الضوء على أنواع وأساليب السلب والنهب ببلاد الحجاز. ويُعالج المحور الثالث تأثير أعمال السلب والنهب على بلاد الحجاز في ضوء كتابات الرحالة، بينما يرصد المحور الرابع والأخير وسائل وأليات التصدي لأعمال السلب والنهب ببلاد الحجاز. وأخيراً تأتي الخاتمة متضمنة أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

**تمهيد:**

**أهمية كتابات الرَّحّالة الأجانب والعرب كمصدر لدراسة بلاد الحجاز:**

على الرغم من أنه ليس معروفًا على وجه الدقة بداية وصول الرحالة الأجانب إلى بلاد الحجاز، فإن بعض المراجع تُرجح أن تاريخ الرحلات الأوروبية للجزيرة العربية يرجع إلى أعوام٨٨١-٨٩٦هـ/١٤٧٦م -١٤٩٠م، عندما زار الرحالة "يوحنا كابوت" John Cabot[١] مكة المكرمة بين سنتي ٨٨١ و٨٩٦هـ/١٤٧٦و١٤٩٠م. ثم جاء الرحالة الإيطالي "لودفيكو دي فارثيما" Ludovico De Varthema [٢] سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م لتتوالى من بعدهما الرحلات والتي كانت في مُجملها ذات طابع فردي، ويكتنفها الغموض حيال أهدافها وقيمتها العلمية[٣].

ولكن مع بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بدأ الاهتمام من قِبَل الرَّحّالة الأجانب بشبه الجزيرة العربية، وتزايد هذا الاهتمام بدءًا من منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، بفضل قيام الدولة السعودية الأولى (١١٥٧-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤-١٨١٨م) وامتداد نفوذها من قاعدتها نجد إلى شمال الجزيرة في أواخر القرن المذكور، لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ الحجاز [٤]. وبحلول القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وفد على الحجاز رحالة أجانب كُثر من جنسيات مختلفة، فرنسيين، وإنجليز، وسويسريين، وروس، وألمان، فضلا عن الرَّحّالة العرب الذين كانوا يفدون للحج والتجارة، وقد رسم هؤلاء الرَّحّالة بأقلامهم صورة واضحة لمظاهر الحياة السياسية، والاقتصادية، والفكرية، والدينية، والثقافية لسكان بلاد الحجاز، وهي صور لا نجدها عند المؤرخين المحليين بطبيعة الحال.

فبحلول القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي ارتحل إلى الجزيرة العربية عدد من الرحالة الأجانب مثل الرحالة الألماني "كارستن نيبور" Carsten Niebuhr [٥] الذي قام برحلة إلى الجزيرة العربية عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، وقام بتوثيق ملاحظاته عن المنطقة بشكل مُفصل في كتابه "رحلة إلى شبه الجزيرة العربية". وقد حفلت الرحلة بمعلومات قيّمة عن عادات وتقاليد سكان بلاد الحجاز، وديانتهم، وشعائرهم، كما تضمنت الرحلة وصفًا لبعض المدن الحجازية، وعماراتها، وأسواقها. وقد فتحت تلك الرحلة آفاقًا واسعة للبحث العلمي حول تاريخ وحضارة شعوب الجزيرة العربية بشكل عام، وبلاد الحجاز بشكل خاص.

ولعل من أهم ما جاء برحلة نيبور حديثه عن إزدياد قوة بعض القبائل العربية، وفرضها لنظام "الخوّة" والذي كان سببًا رئيسيًا في اضطراب الأوضاع الأمنية لمنطقة الحجاز، وانتشار أعمال السلب والنهب[٦].

ومن الرحلات الأجنبية التي سلطت الضوء أيضًا على مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية لبلدان الجزيرة العربية، رحلة البريطاني "جوزيف بتس"Joseph Bates [٧]، وهو أول رحالة إنجليزي، وثاني رحالة أوروبي يزور مكة المكرمة في التاريخ الحديث، وتعود أهمية رحلته التي حملت عنوان "رحلة جوزيف بتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة" إلى كم التفاصيل المهمة التي قدمها لأبناء جلدته من الأوروبيين عن مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكذلك عن قوافل الحج وشعائره، وكذلك عن وصفه الدقيق لطُرق الحج – البري والبحري – من بلاد المغرب إلى بلاد الحجاز مرورًا بمصر، والتي ضمّنها معلومات في غاية الأهمية عن أساليب السلب والنهب.

ولدينا أيضًا الرحالة الإسباني "دومينجو باديا لبيش" Domingo Badia Leblich [٨]، الذي زار الجزيرة العربية سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م مُنتحلاً اسم "علي باي العباسي"، ويُعد هذا الرحالة أول من أعطى الغربيين فكرة واضحة ومنظمة عن سكان مكة والمدينة، ربما بفضل احتكاكه بالمسلمين والتقرب منهم بإعتباره مُسلمًا. كما ترجع أهمية رحلته إلى كونه شاهد عيان على الأحداث السياسية التي واكبت قيام الدولة السعودية الأولى وما عاصرها من عدم استقرار في الحياة السياسية.

وهناك أيضًا الرحالة السويسري جون لودفيج بوركهارت J. Ludwig Burckhart [٩]، وهو من رحالة منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وهو يُعد من أكثر الرحالة الأوروبيين دقة وانصافًا، وإذا وقفنا على جوانب رحلته التي سجلها في كتابه "ترحال في الجزيرة العربية"، نجده يتحدث عن رحلته، وعن الصعاب التي واجهها على يد قُطاع الطرق، الذين حاولوا مرارًا تعقبه والايقاع به.

ومن الرحلات المهمة أيضًا رحلة المُلازم في الجيش البريطاني ريتشارد بريتون Richard Burton [١٠] والذي ارتحل إلى بلاد الحجاز مُتنكراً في صورة أحد الحجاج في مُنتصف القرن

التاسع عشر الميلادي/الثالث عشر الهجري، وقد نُشرت رحلته تحت عنوان "الرَّحّالة الغربيون في الجزيرة العربية" وقد تعرض هو ومن معه للسرقة أثناء خلال رحلته إلى الحجاز عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م حينما كان يخيم بقرية الحمرا(١١)؛ حيث تم الهجوم على القافلة ليلاً، ونجح اللصوص في سرقة عدد من الجمال رغم محاولة الفرسان الخيالة إخافة اللصوص بإطلاق قذائف البارود(١٢).

كذلك قدمت المدرسة الأمريكية رحالة بالغي الأهمية، نذكر منهم – على سبيل المثال– الرَّحّالة بايارد تايلورBayard Taylor (١٣) والذي كانت رحلته إلى الجزيرة العربية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وفي رحلته المعنونة: "ترحال في جزيرة العرب" قدّم تايلور معلومات في غاية في الأهمية عن الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشتها الجزيرة العربية إبان رحلته، وقد تعرض تايلور لهجوم اللصوص على قافلته الذاهبة وهي في طريقها لبلاد الحجاز في ٣ ديسمبر عام ١٢٦٨ه/١٨٥١م؛ وحكى الرَّحّالة كيف ضربه اللصوص على أم رأسه، وسلبوا بندقيته وكل ما يلمكه، وتمكن بصعوبة من النجاة بحياته(١٤).

ومن الرحلات الألمانية رحلة يوليوس أويتنج Julius Euting (١٥) والتي تُرجمت ونُشرت تحت عنوان "رحلة إلى داخل الجزيرة العربية"، وهي رحلة مهمة، إذ ضمّنها خرائط لجولاته، ورسومات ومخططات كثيرة للقرى التي زارها، واهتمامه البالغ بحياة الناس في المناطق التي زارها، فكتب عن أمنهم وخوفهم، وعاداتهم، حتى عُدّت بمثابة "يوميات رحلة إلى داخل الجزيرة العربية.

ولا يمكننا أيضًا نسيان الإشارة إلى الرحالة والأديب والشاعر الفرنسي من أصول سويسرية "شارل ديديه" الذي زار بلاد الحجاز في القرن التاسع عشر الميلادي، وترك كتابًا مُهمًا بعنوان: "رحلة إلى الحجاز إقامة في رحاب الشريف الأكبر – شريف مكة المكرمة" تحدث فيه عن مظاهر الحياة السياسية والحضارية لأهل بلاد الحجاز. كما تعود أهمية رحلته إلى

كم المعلومات التي رواها عن الأشراف لا سيما فترة تولِّي الشريف الأكبر "عبد المطلب بن غالب" وكذلك معلوماته الدقيقة عن الوهَّابيِّين، وكلها معلومات مهمة استقاها من مصدر أصيل، هو أحد أفراد أسرة آل سعود، يُسمِّيه ديدييه "خالد بن عبدالله بن سعود". فضلا عن حديثه عن محطات الطُرق من جدة إلى المدينة، والمصاعب التي تُهدد المسافرين، وكيفية التغلب عليها.

أما الرحالة البريطاني "وليم بالجريف" .Palgrave W [١٦]، فيأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد شارل ديديه، والأول ربما من حيث الشهرة. وقد نالت رحلته ما لم تنله رحلة أخرى من الاهتمام والنقاش، حتى عُدّت رحلته من أمهات أدب الرحلات، رغم أن كافة النقاد يعترفون بدور الخيال في وصفه لرحلته، والمبالغة فيما كتبه، وتحامله على أهل الجزيرة العربية، ووصفه لهم بالبداوة وعدم التحضر، وتعصبه ضد الإسلام، حتى أن البعض شكك في حقيقة المعلومات التي أوردها، وفي صدق قيامه بالرحلة ذاتها، وعدّوها من نسج خياله، إلا أن ذلك لم يغير من حقيقة الشهرة التي نالتها رحلته والاهتمام بها. حيث دافع كبار الرحالة الأوروبيين، من أمثال تشارلز داوتي، والليدي بلنت وعالمة الآثار الفرنسية جاكلين بيرين، دافعوا عن بالجريف، وأشادوا بكتاباته وتحقيقاته، وأكدوا على أن رحلته إضافة مهمة لأدب الرحلات[١٧].

وتأتي أهمية رحلة بالجريف من غزارة المادة المتعلقة بأعمال السلب والنهب، ومن الطرق والأساليب التي راح يقترحها على المسافرين والتجار للنجاة من سطو اللصوص، بعد أن تعرض هو شخصيًا لثلاث محاولات للسرقة كما سيرد شرحه لاحقًا.

وفي سبعينيات القرن التاسع عشر زار الرَّحّالة تشارلز داوتي Charles Doughty الجزيرة العربية، وكتب عنها مؤلفه المشهور "ترحال في صحراء الجزيرة العربية". وقد تعرض

الرحالة نفسه للسرقة، وقد سطّر ذلك في رحلته، متحدثًا عن اللصوص الذين قاموا بقطع الطرق ونهب التُجار والمسافرين[١٨].

ولدينا أيضًا الرَّحّالة ولفرد بلنت Wilfrid Blunt وزوجته آن بلنت[١٩] اللذان قاما برحلتهما عام ١٢٩٤ه/١٨٧٧م، وقد هال هذا الرحالة كم السلب والنهب وقطع الطرق إلى الحد الذي جعله يصف تلك الأحداث في رحلته ب "المهازل التي تتكرر في بلاد الشرق"[٢٠].

ومن الرحالة أيضًا الذين تحدثوا عن أعمال السلب والنهب ووصفوها بشكل دقيق، الرَّحّالة فراير والذي لم يسلم هو نفسه من السرقة أثناء رحلته للحج في موسم عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨/١٨٧٧م، وهو في مكة يؤدي مناسك الحج، فراح يصف اضطراب الأحوال السياسية في بلاد الحجاز[٢١]. ومن رحالة ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي نذكر الرَّحّالة الفرنسي شارل هوبيرCharles Huber [٢٢] صاحب كتاب "رحلة في الجزيرة العربية الوسطى"، وقد سطّر في رحلته كل أسى وحزن قصة مقتل ابنه البالغ من العمر ستة عشر عامًا على يد اللصوص[٢٣].

كما يُعد كذلك الرَّحّالة البارون إداورد نولده Edward Nolde [٢٤] من أهم الرحالة الأجانب الذين زاروا بلاد الحجاز في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي/الثالث عشر الهجري، والذي ترك لنا رحلة مهمة. وقد تعرض هذا الرحالة للسرقة مرتين خلال رحلته إلى بلاد الحجاز[٢٥]؛ الأمر الذي جعل رحلته تزخر بتفاصيل السلب والنهب.

كذلك لا تقل رحلة العقيد الروسي عبد العزيز دولشتين[٢٦] أهمية في وصف بلاد الحجاز، وبيان ظروفها السياسية والأمنية المضطربة، وتعرضه هو شخصيًا للسرقة على يد أحد اللصوص مثلما أشار في رحلته[٢٧].

بالإضافة إلى الرحالة الأجانب السابقين، هناك أيضًا عدد من الرحالة العرب الذين أوردوا معلومات تاريخية وجغرافية تؤكد على انتشار أعمال السلب والنهب وقطع الطرق في بلاد الحجاز. نذكر منهم –على سبيل المثال– رحلة علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري، ورحلته المعروفة ب" منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ويعد السنجاري من رحالة القرن الثامن عشر الميلادي/الثاني عشر الهجري. ورحلته على جانب كبير من الأهمية وخصوصًا فيما يتعلق بتاريخ مكة المكرمة وجغرافيتها، وأهميتها التجارية والدينية مما جعلها على حد وصفه هدفًا مُغريًا لقطاع الطرق(٢٨).

كذلك قدمت رحلة السويدي، أبو البركات عبد الله بن حسين البغدادي، والمُعنونة ب "النفحة المسكية في الرحلة المكية"، عدة إشارات مهمة عن أعمال السلب والنهب وانتشارها ببلاد الحجاز في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. فتحدث حديثًا مُطولًا عن فئات اللصوص، الذين وصفهم في رحلته "بالأشقياء"، مُبينًا خطورتهم، ودورهم في زعزعة استقرار منطقة بلاد الحجاز، وأثرهم السلبي على فريضة الحج (٢٩).

ومن الرحلات التي فطنت إلى أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز أيضًا، رحلة اليوسي الحجازية، واليوسي من رحالة القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، والذي لم تخل رحلته من تحذير من الأماكن التي يكثر فيها اللصوص وقطاع الطرق، وتحذيره طوال رحلته للحُجاج من خطورة اللصوص(٣٠). كذلك لدينا "الرحلة الناصرية" للرحالة الجزائري أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، وهو من رحالة القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ويمتاز هذا الرحالة بدقته وأمانته العلمية(٣١)، مما أعطى أهمية لرحلته، فضلا عن غزارة معلوماته عن سكان مكة والمدينة، ودقة وصفه لطرقاتها ومسالكها، وما لاقاه الرحالة من صعوبات على أيدي قطاع الطرق، مما جعل لرحلته أهمية في إلقاء الضوء على أعمال السلب والنهب(٣٢).

وفي هذا الصدد لا يمكننا إغفال رحلة الورثلاني، وهو من رحالة القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وهي رحلة في غاية الأهمية لما انفردت به من معلومات عن فئات اللصوص، وأساليبهم في النهب(٣٣)، كما ألقت الرحلة الضوء على الحروب التي كانت تنشب بين القبائل العربية كقبيلة حرب(٣٤)، وبني صخر، وعنزة، وقيام بعضها بقطع طريق الحج الأصلي المُسمى بالطريق السلطاني، وأثر ذلك السلبي على التجارة والحج(٣٥).

من خلال العرض السابق تتضح أهمية كتب الرحالة سواء الأجانب أو العرب في دراسة الظواهر التاريخية والاجتماعية، لما تحويه تلك الرحلات من مآثر، ومشاق، ومخاطر، خصوصًا أن زيارة بلاد الحجاز في العصور الماضية كانت تفتقد إلى الأمن، وكثيرًا ما كانت قوافل الحج تتعرض للسلب والنهب من اللصوص وقطاع الطرق، وهو ما اختفى تمامًا منذ قيام المملكة العربية السعودية، وحرص مؤسسها الملك عبدالعزيز –رحمه الله– وقادة المملكة من بعده، على تأمين طرق الحج، وتيسير سُبله لقاصدي البيت الحرام والمدينة المنورة(٣٦).

بالإضافة إلى ما سبق تكشف كتب الرَحَّالة عن أجزاء من الخصائص الإنسانية، والأخلاقية، والحضارية للإنسان العربي في عصر الرحلة، إذ تُغطي كتابات الرَحَّالة العديد من جوانب الحياة التقليدية مثل الطعام، وكرم الضيافة، والزواج، والطلاق، والأمراض والأوبئة، وإيقاع العمل اليومي من شرب للقهوة، وتناول للتمر، وأعمال السلب والنهب(٣٧). إضافة إلى ذلك، تقدم مؤلفات الرَحَّالة، رؤية الآخر، فمن الأهمية بمكان ملاحظة كيف نظر الرَحَّالة للعرب بسلبياتهم، وإيجابياتهم، ومظاهر تلك النظرة(٣٨).

كذلك تكتسب كتابات الرَّحّالة الأجانب أهمية أخرى من كونها مصدرًا معلوماتيًّا يُوفر رؤى من خارج السياق المحلي. كما أن مقارنة هذه الكتابات مع المصادر المحلية إن

وجدت، ستمكن الباحث من تقديم صورة أكثر شمولية عن السياقات الاجتماعية والسياسية التي ساهمت في تكوين الظاهرة قيد البحث(٣٩).

**تعريف السّلْب والنّهب لغةً واصطلاحًا.**

لفهم ظاهرة أعمال السّلْب والنّهب في بلاد الحجاز لا بد أولًا من شرح مفهوم السلب والنهب في اللغة والاصطلاح. أمّا السلب لغةً فهو من الفعل سلَبَ يَسلُب ويَسْلِب، فهو سالِب، والمفعول مَسْلوب وسَليب، والمصدر السّلْب بإسكان اللام. سّلب الشيء يَسلُبُه سَلبًا وسَلَبًا، أي انتزعه قهرًا أو اختلاسًا، ومنه قول الله تعالى: (وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ) (٤٠) فالسلب إذن هو انتزاع الشيء من الأغيار بغير حق(٤١). والسلب قانونًا في أبسط تعريفاته السرِقة المُشددة. وأما السلب اصطلاحًا فهو يُقصد به عمليات السرقة والسطو الواسعة سواء على الأفراد، أو الممتلكات العامة، يقوم به مجموعة غوغائية مُنحرفة من الأفراد(٤٢).

أما النهب لغةَ، فمن الفعل نهَبَ يَنهَب، نَهْبًا، فهو ناهب، والمفعولُ منهوبٌ، ونَهِيبٌ. نهَب الشيء: أخذه قهرًا، ويقال: إنه لينهب الأرض: يُسرع في السّير. كما تُشير كلمة النهب إلى الغنيمة، وفي الحديث (فأتى بنهب أي بغنيمة)، والجمع نهاب ونهوب(٤٣)، ويُقصد بمصطلح النهب قانونًا اغتصاب أحدهم مال غيره بالقوة الإكراه، ويُعرف النهب اصطلاحًا بأنه جرائم السرقة الواسعة التي تقوم بها فئات كبيرة من العصابات والعناصر الإجرامية مستغلة غياب الأمن. وعلى ضوء ذلك فإن مصطلح النهب يرتبط بالسلب حيث أن كلا الفعلين يدخلان ضمن جرائم السرقة والتعدي على ممتلكات الأفراد والمجتمعات(٤٤).

ويرتبط مصطلحا السلب والنهب ببعض المفردات والمصطلحات الأخرى التي تُعبّر عن المعنى ذاته، كالسرقة وقطع الطريق، والسطو، والنشل، ومصطلحات أخرى كلأشقياء،

والحَرَامِية، واللصوص إلى غيرها من المعاني والألفاظ التي ترتبط بفكرة هذه الظاهرة الإجرامية، وكلها ألفاظ ومصطلحات ستدخل في إطار هذه الدراسة أيضًا.

**المحور الأول: أسباب تفشي السلب والنهب في مجتمع بلاد الحجاز في ضوء كتابات الرحالة.**

تعددت أسباب انتشار السلب والنهب في بلاد الحجاز بين أسباب سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وأمنية، وجغرافية بيئية، وغيرها. وفيما يلي عرض لأهم هذه الأسباب:

**أولًا: الأسباب السياسية:**

ما من شك في أن حوادث السلب والنهب غالبًا ما تزداد في الفترات التي تشهد اضطرابًا في النظام السياسي، أو ضعفًا في السلطة المركزية، وهو ما حدث في بلاد الحجاز خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، حيث حَفِلتْ تلك الفترة بالعديد من التغيرات والتحولات السياسية نتيجة للوجود العثماني، والصراعات بين السلطة العثمانية والحكام المحليين، فضلاً عن الصراعات المحلية، وظهور قوى إقليمية دخلت في صراع مع السلطان العثماني بُغية تحقيق استقلال ذاتي، مثلما حدث في عهد علي بك الكبير ومحاولته الاستقلال بالسلطة المصرية، وظهور قوى محلية مستقلة أفضت جميعها إلى زعزعة استقرار منطقة بلاد الحجاز، وخلخلة المنظومة الأمنية بها، الأمر الذي ساعد بشكل مباشر على تفشي السلب والنهب كما سيتضح لاحقًا(٤٥).

كما كان لضم الحجاز تحت راية العثمانيين أهميته بالنسبة للجانبين؛ فقد استفاد العثمانيون من كونهم صاروا أصحاب الحماية والوصاية على بلاد الحرمين، وصار اللقب الديني لسلطان الدولة العثمانية هو: "حامي حمى الحرمين الشريفين"، وهو ما وسّع وعمّق من نفوذ العثمانيين باعتبارهم حُماة المقدسات، وعلى الجانب الآخر، استفادت الحجاز من القوة والهيبة العثمانية

في حماية أراضيها من الاعتداءات الخارجية، وإقرار الأمن، والحفاظ على المقدسات الإسلامية(٤٦).

وطيلة عصور القوة للدولة العثمانية وجّه سلاطين الدولة العثمانية جهودهم للاهتمام بالجزيرة العربية بوجه عام، وبلاد الحجاز بوجه خاص، إلى أن دبّ الضعف في ولايات الدولة العثمانية مع بدايات القرن الثامن عشر الميلادي/ الثاني عشر الهجري بسبب دخولها في صراع دامٍ وطويل مع روسيا القيصرية، وزاد من ضعفها حينما احتلت فرنسا مصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م لتفقد الدولة العثمانية أعظم وأهم ولاياتها(٤٧).

أعقب ذلك دخول الدولة العثمانية في مرحلة الدفاع على الصعيد الأوروبي، وانشغل سلاطينها بالمشاكل الداخلية التي تفاقمت، وقل معها الاهتمام ببلاد الحجاز، وأصبحت تغض الطرف عن تجاوزات شريف مكة حتى اقتصر نفوذها في الحجاز على مجرد حماية مَحمل الحج القادم من الشام ومصر، والمصحوب عادة بعددٍ من الجند، وهو في طريقه إلى الأماكن المقدسة، لتُذكر الأشراف والأعراب بقوة الدولة، وامتداد سلطتها، ولكن ما أن انتهى موسم الحج حتى عاد الأشراف والبدو مرة أخرى سادة للحجاز(٤٨).

في ظل هذا الضعف سعى آل سعود بمساندة الوهابيين(٤٩) إلى السيطرة على بلاد الحجاز(٥٠)، وبسبب انغماس الدولة العثمانية في الصراعات مع أوروبا، استغرق العثمانيون وقتًا طويلاً في محاربة الوهابيين، فأنفذوا ضدهم عدة حملات عسكرية(٥١)؛ إذ أمر السلطان العثماني محمود الثاني (١٧٨٥– ١٨٣٩م)(٥٢) واليه محمد علي باشا بتحريك الجيش إلى الجزيرة العربية في عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، والذي قاده بنفسه، ونجح في استعادة الأماكن المقدسة من حوزة الوهابيين، ثم استكمل ابنه إبراهيم باشا إدارة الحرب، وتمكن من هزيمة الوهابيين هزيمة نكراء، ونجح في استرداد كل المدن التي وضع الوهابيون أيديهم عليها حتى حاصر

مدينة الدرعية[٥٣] عاصمة الوهابية، وسقطت في يديه بعد ستة أشهر، واقتيد عبد الله بن سعود[٥٤] أسيرًا إلى القسطنطينية، وأعدم هناك عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م[٥٥].

وقد ترتب على ما سبق أن أصبحت كل دواخل الجزيرة العربية حتى الخليج تحت السيادة المصرية، وأصبح محمد علي يُشرف بشكل مباشر على تصريف مقدرات الحرمين الشريفين، وصار يُصرَف لشريف مكة راتب دون السماح له بالتدخل في شئون الحرمين، ونتج عن ذلك أن أصبحت الإدارة في أهم موانىء الحجاز ومنها جدة تتبع الدولة العثمانية، لذا راحت تفرض ضرائب جمركية على الواردات، وأسندت قيادة الجيش إلى الوالي، وكانت الأوامر تأتي من اسطنبول، وبذلك عادت بلاد الحجاز بشكل غير مباشر تحت الحكم العثماني[٥٦] مما أدى إلى نشوء فوضى لاسيما من ناحية عدم تحديد الصلاحيات بشكل دقيق بين الأشراف والولاة العثمانيين.

ومن ناحية أخرى قيَّدت الدولة العثمانية سلطة الشريف، وأصبح مسئولًا فقط عن شئون الحج، وأحوال البدو، وبالتالي أشرف على شئون الأموال المخصصة لأمن المدن والطرق، وبخاصة تلك التي يقيم فيها العثمانيون ثكنات عسكرية، وكانت تلك الثكنات تتبع قوات محمد علي باشا، وكانت الحجة إلى ما ذهبت إليه الدولة العثمانية من ذلك أنها أرادت أن يتبعها الحجاز بشكل مباشر للحد من توسعات محمد علي، وسيطرته على الحجاز، وفي الوقت نفسه لتُأَمن لنفسها استبداد الشريف ببلاد الحجاز، ومنافسة مصر في سيطرتها على الحجاز ولاسيما أن الأحداث السياسية بشكل عام كانت تسير ضد وجود الدولة العثمانية[٥٧].

لكن سرعان ما دبت الخلافات بين الدولة العثمانية والحكومة المصرية بسبب تطلع إبراهيم باشا للسيطرة على عاصمة الخلافة الإسلامية، واضطر معها إلى مغادرة آخر ما تبقى من القوات المصرية، وكانت تلك بداية لفترة لاحقة من الحرب في أواسط الجزيرة العربية استمرت قرابة النصف قرن؛ حيث نهضت حكومة الوهابيين من جديد، وتم الاعتراف

بفيصل بن عبد الله[٥٨] أميرًا على نجد، ودارات الصراعات الحربية بين الوهابيين وقبائل عنيزة، وحرب، وعتيبة، وحائل، حيث نمت وازدهرت دولة حائل التابعة لابن رشيد بفضل دأب ومثابرة الأميرين طلال ومحمد بن عبد الله بن الرشيد (١٢٨٩– ١٣١٥هـ/ ١٨٧٢– ١٨٩٧م)، وهو الأمير الخامس في الإمارة الرشيدية، والذي استرد سلطته بسرعة كبيرة عن طريق سفك الدماء، ليقضي هذا الأمير نحو عشرين سنة في محاربة القبائل، مُتدخلاً تارة في شئون الرياض؛ إذ كانت شقيقته نورا متزوجة من عبد الله بن فيصل[٥٩] حاكم الرياض الذي خُلع عن العرش للمرة الأولى عام ١١٨٦هـ/ ١٨٧٢م، وتم سجنه هو وزوجته إلى أن نجح بن الرشيد في تنصيب الأمير عبد الله على عرش مملكته، ثم ما لبث أن عزله ثانية، وهرب إلى حائل، وتحالف مع العثمانيين، كما تحالف العثمانيون مع ابن الرشيد للتدخل في الجزيرة العربية، وأدى ذلك التحالف إلى سيطرة العثمانيين على الأحساء، الأمر الذي أدى إلى اشتعال فتيل الحروب والانتفاضات والتدخلات لأمد طويل في المنطقة[٦٠].

ومن بين هذه التدخلات كان تدخل ابن رشيد ثلاث مرات في شئون الرياض، وكانت له حملات عديدة، انتصر فيها جميعها، كما أساء من وضع ابن رشيد تكوين حلف مضاد له من عنيزة وبيت آل سعود وقبائل عتيبة، وقد جمعت كل هؤلاء كراهيتهم لابن رشيد، ورغم ذلك انتصر ابن رشيد، ونتيجة لذلك خضعت كل أواسط الجزيرة العربية له خضوعًا تامًّا، وبعد عدة أشهر من حكمه المباشر عُين أحد أفراد أسرة ابن سعود وهو الأمير محمد[٦١] لحكم الرياض[٦٢].

وعلى الرغم من إسقاط بن رشيد للدولة السعودية الثانية (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م– ١٣٠٩هـ/ ١٨٧١م)، لكنه لم يكن له سلطان على القبائل البدوية سوى جمع الزكاة منهم فقط مما يؤكد ضعف سيطرته على البوادي، وعدم استخدامه القوة ضدها تمامًا؛ لعدم قيامه بربط شيوخ القبائل بإمارته بشكل قوي ومستمر، والذين كانوا يشكلون دومًا تهديدًا لسلطته[٦٣].

ويتضح مما سبق اضطراب الأوضاع السياسية في بلاد الحجاز، الأمر الذي سيساعد بشكل مباشر على انتشار السلب والنهب في ذلك الإقليم الحيوي والمهم.

**ثانيًا: الأسباب الاقتصادية:**

في الواقع لم يكن اضطراب الوضع السياسي وحده هو العامل الأساسي الذي أدى إلى تفشي السلب والنهب، بل أسهمت الأوضاع الاقتصادية المتدهورة أيضًا في انتشار تلك الظاهرة ببلاد الحجاز، فلو ألقينا نظرة سريعة على الأوضاع الاقتصادية التي كان يحياها أهل منطقة بلاد الحجاز لوجدنا أنهم عاشوا حياة صعبة، فحسب وصف الرَّحّالة "جون فراير"John Fryer(٦٤) الذي زار المنطقة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، فإن بلاد الحجاز كانت تغلب عليها الأراضي الصحراوية الصخرية الجرداء، والصحراء الرملية، والتي تتخللها مناطق قليلة خصبة تنمو فيها شجيرات صغيرة لا تصلح لأن تكون طعامًا كافيًا للقليل من الأغنام والماعز(٦٥)، فأهم مدينتين ببلاد الحجاز وهما مكة والمدينة رأى فيهما الرَّحّالة "جوزيف بيتس" قرى يابسة تقع في وادٍ غير ذي زرع، وسكانها بائسون ناحلو الأجسام، يعتريهم الهُزال(٦٦)، بالإضافة إلى ذلك عانت بلاد الحجاز طيلة القرن الثامن عشر/ الثاني عشر الهجري من كوارث بيئية عديدة.

وعلى سبيل المثال شهدت بلاد الحجاز سنوات من القحط الشديد، وندرة سقوط الأمطار في سنوات ١٢٢٣هـ/ ١٧١١م، و١٢٢٧هـ/ ١٧١٥م، و١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م، و١١٤٢هـ/ ١٧٣٠م، أدت إلى هلاك الماشية، وبور المراعي، كما أدت الأمطار الغزيرة، وبرودة الطقس التي سادت في بعض السنوات إلى إتلاف المحاصيل، كما تفشى كثير من الأوبئة في سنوات ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، و١١٢٤هـ/ ١٧١٢م، و١١٢٦هـ/ ١٧١٤م، و١١٣٧ه/١٧٢٥م، و١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م، والتي فتكت بكثير من سكان بلاد الحجاز، وكانت تتفشى بشكل أكبر خلال موسم الحج نتيجة الاختلاط بين الناس، فضلاً عن السفر

ومعاناته(٦٧). وفي ضوء هذه الظروف البيئية الصعبة افتقد الكثير من السكان للمسكن، والغذاء، والملبس، ثم جاء فرض الضرائب الباهظة عليهم من قبل الحكام وخصوصًا في العهد الوهابي لتزيد الأمر سوءًا(٦٨)، فارتفعت الأسعار، وزاد الغلاء، حتى اضطر الناس إلى بيع ما يملكون بأبخس الأثمان لشراء احتياجاتهم الأساسية بعشرة أضعاف ثمنها، كما ندرت المواد الغذائية؛ فأكل الناس الجلود، والكلاب، وكل حيوان كانوا يحصلون عليه، بشكل لم تشهده منطقة بلاد الحجاز من قبل، ومات الكثير من السكان جوعًا، وانتشرت جثث الأطفال في الأزقة، وأخذ الناس يهاجرون في ظل الحصار الذي ضرب عليهم(٦٩).

وليس عجيبًا في وضع اقتصادي صعب هكذا أن أصبح السلب والنهب الشغل الشاغل للكثيرين، ولم يقتصر سلبهم ونهبهم على خيام الأعداء فقط، بل تخطوا ذلك إلى سرقة بعضهم البعض(٧٠)، ولم تمنعهم قداسة كثير من الأماكن من نهبها، بل شكّلوا عصابات كاملة من قطاع الطرق بين مكة وجدة، ومكة والمدينة المنورة وينبع لتنهب وتسلب(٧١).

لذلك نجد أن معظم المدن الاقتصادية الغنية كانت تعاني من السرقة؛ فمدينة جدة على سبيل المثال كانت تعاني بين الحين والآخر من نهبها، ومصادرة تجارتها لغناها، وكان مما سهل ذلك الخلاف بين أمير جدة العثماني وأمير مكة المكرمة بسبب الصلاحيات الممنوحة للأول من عزل من يراه من الأشراف، وتوليته أميرًا على الحجاز، وللسبب ذاته كان البدو يسرقون السفن التي تبحر من ميناء ينبع بشكل دائم، وكان ذلك يحدث بشكل مستمر عندما تسنح الفرصة المناسبة(٧٢).

كذلك أشار الرَّحّالة جوزيف بتس إلى أن اللصوص في مكة كانوا يسطون على قوافل الحجاج عدة مرات من أجل سرقة ولو حاج واحد، أو عددٍ من الحجاج، المهم أن يحصلوا على إبله وأمواله، أو حتى ملابسه التي يرتديها، وحسب جوزيف بتس فإن أغلب الحجاج

غالبًا ما كانوا يعودون إلى قوافلهم عرايا"(٧٣)، وهو ما يؤكد على معاناة اللصوص من أوضاع اقتصادية صعبة دفعتهم إلى سرقة حتى حجاج بيت الله الحرام.

ويُبالغ الرَّحّالة وليم بالجريف– والمعروف عنه تعصبه ضد البدو– فيذكر أن من أسباب انتشار السلب والنهب اتخاذ بعض البدو منها مهنة لهم، وأنهم كانوا يسرقون فقط من أجل السرقة، بالرغم مما يبذله البدوي من جهد في سرقة كل ما تقع عليه عينه، فإنه كان لا يعول كثيرًا على قيمة تلك المسروقات، وأنه على استعداد دائم للتخلي بسرعة عما سرقه؛ لعجزه عن تقييم أو تقدير قيمة ما سرق(٧٤).

كذلك دفعت الظروف المعيشية الصعبة تلك إلى زيادة الصراعات المحلية بين القبائل، والتي قُدر لها أن تدخل في حروب دائمة مع بعضها البعض كانت تصل مدتها إلى نحو عام أو أكثر من أجل تحقيق هدف رئيسي واحد لها ألا وهو سرقة ونهب القبيلة الأخرى، لذلك أصبح من النادر جدًّا أن تتمتع قبيلة من القبائل بالسلم(٧٥).

وثمة نظام آخر كان سائدًا آنذاك وهو "الصرة"، وهو عبارة عن مبلغ من المال تدفعه الدولة العثمانية لمشايخ القبائل مقابل تأمين مناطقهم، وبالذات طرق القوافل التجارية، وقوافل الحجاج، وهو نظام اقتصادي أقل تكلفة من إقامة مراكز أمنية على طول الطرق التي تخضع لسيطرة القبائل(٧٦)، ولعل هذا ما دفع بالدولة العثمانية إلى الاستعانة بالقبائل في تأمين قوافل الحج الشامي والمصري(٧٧)، كما حرصت على توثيق علاقتها مع شيوخ تلك القبائل، ومن بين تلك القبائل التي كان لها دور في الصراع المحلي ببلاد الحجاز قبيلة الرولة(٧٨)، والتي كان لها دور واضح في الصراع مع إمارة آل رشيد، والذي نتج عنه نجاح شيوخ هذه القبيلة في تأسيس إمارة لهم في الجوف مستغلين ضعف هذه الإمارة، والصراع الداخلي فيها، وتغاضي السلطات العثمانية عن ذلك(٧٩).

كذلك شكلت تلك الأموال المُرسلة (الصّرّة) إلى مكة والمدينة سنويًّا سببًا اقتصاديًّا آخر في تفشي هذه الظاهرة؛ فقد أدت هذه الأموال إلى ظهور الخلافات والمشاكل سواء بين الأشراف أو القبائل العربية دفع الحجاج ثمنها؛ لأن عمليات سلبهم ونهبهم كانت تَحدث نتيجة ردة فعل قام بها شيوخ القبائل وبعض الأشراف لعدم تسلمهم الصرة، وقد حدث ذلك في مطلع القرن الثامن عشر حينما سرقت أموال الصُّرة المصرية المُخصصة للفقراء من أهل مكة، فحكم القاضي على أمير الحج بأن يسلم الأموال من ماله الخاص(٨٠).

ويبدو أن هذا التغاضي ساهم بشكل أو بآخر في ازدياد قوة القبائل، والتي بلغت ذروتها عندما اعتبروا أنفسهم سادة الصحراء(٨١)، حيث لم يكن بمقدور أحد أن يعبر أراضيها قسرًا إلا بعد دفع الخوّة. وقد ساهم هذا الواقع في تشكيل تصوّر الدولة العثمانية تجاههم، حيث اعتبرتهم متمردين. كما كان نظام الخوّة سببًا رئيسيًّا في اضطراب الوضع الأمني في منطقة الحجاز، خصوصًا عندما كان أمراء الحج يستَبْقون هذه الخوّة لأنفسهم، ويتجنبون دفعها للقبائل. وفي هذا السياق، يروي الرَّحّالة كارستن نيبور أن أحد البكوات حصل على رسوم عبور القافلة كاملة من الخزينة السلطانية، ولكنه لم يؤد للقبائل إلا نصفها، الأمر الذي دفع ببعض هذه القبائل إلى شن سلسة من الإغارات(٨٢).

وتجدر الإشارة إلى أن نظام الخوّة لم يكن كفيلاً بحماية القرية وأهلها كما يذكر أحد الرَّحّالة(٨٣)، بل أدى هذا النظام إلى زيادة اضطراب الأمن، وسيادة العنف في بلاد الحجاز بين فترة وأخرى(٨٤)، وساد العنف بين العثمانيين كسلطة رسمية في الحجاز وسلطة الأشراف كحكام لها، وتجلى ذلك في نهب وسلب اللصوص الدائم لقوافل الحج التي غالبًا ما تشتد أثناء حدوث فتن أو مشاكل داخل الحجاز(٨٥).

وهكذا يتضح أنه مع تراجع التجارة، وندرة الموارد الطبيعية، ومحدودية مصادر العيش، وفوق ذلك غياب السلطة المركزية في فترات متقطعة، لجأ بعض الأفراد إلى السلب

والنهب كبديل اقتصادي، وأصبح السطو على قرية، أو مدينة، أو قافلة، أو حتى قبيلة من القبائل وسيلة للعيش والبقاء.

**ثالثًا: الأسباب الاجتماعية:**

ساهمت البُنى الاجتماعية، والأعراف القبلية، إلى جانب الدوافع الاقتصادية والسياسية التي سبق شرحها، في انتشار السلب والنهب ببلاد الحجاز، فنتيجة للصراع السياسي الذي سبق شرحه، ظهرت قوة القبائل البدوية حتى أنها فاقت كل القوى الخارجية التي حاولت فرض سيطرتها وسلطانها على بلاد الحجاز قاطبة بسبب ما تملكه تلك القبائل من أفراد، وإبل، وأسلحة(٨٦)؛ فعلى سبيل المثال كانت قبيلة عُنَيْزة وحدها تمتلك نحو ثلاثين ألف محارب، وكانت قبيلة حرب تمتلك ما بين خمسة عشر إلى ثمانية عشر ألف محارب، بينما امتلكت قبيلة عتيبة نحو ستة عشر ألف محارب، بالإضافة إلى عدد كبير من الإبل والخيول(٨٧).

وفي ظل غياب السلطة المركزية ببلاد الحجاز ازداد مركز القبيلة قوة، وأصبح اقتصادها يعتمد على استثمار الصراعات السياسية، وفرض رسوم المرور على القوافل التي تنقل السلع التجارية، وقوافل الحجاج، وفرض ما عُرف بنظام "الخوّة"، والذي هو عبارة عن إتاوة يدفعها سكان القرى للقبائل، مقابل التزام القبيلة بحمايتهم، وتيسير تنقلهم ومرورهم بأراضٍ خاضعة لسيطرة قبيلة أخرى(٨٨).

كذلك كان على المُسافر أو التاجر، أو قوافل الحج، دفع هذه الخوّة للقبيلة التي يمرون بها مقابل حمايتهم، وإرشادهم حتى وصولهم آمنين إلى حيث يريدون(٨٩)، أي أن الخوة كانت بمثابة رسوم عبور لأراضي القبيلة، وكان هذا الوضع سائدًا في الجزيرة العربية كلها، ولا يلقى استنكارًا، بل إنه كان من النظم المألوفة الشائعة(٩٠).

وعلى الصعيد الاجتماعي أيضًا يمكن القول بأن البطالة قد تدفع الفرد نحو السلب والنهب؛ فمن خلال الدراسة سيتضح أن من بين مرتكبي جرائم السلب والنهب أفرادًا عاطلين عن العمل، أو جنودًا سابقين مفصولين من العمل، وأحيانًا أفرادًا أغنياء اختاروا الانخراط في أعمال النهب والسلب بدافع الطمع في تحقيق مكاسب أكبر.

**رابعًا: الأسباب الأمنية:**

وبشأن العوامل الأمنية، فقد ساعد غياب السلطة المركزية على بروز نوع من الهيمنة القبلية التي كانت تمارس نفوذها في بيئة تتسم بالفوضى وعدم الاستقرار، فالولاء الوحيد كان للقبيلة التي مثلت وطنًا ودولة في الآن نفسه. كما كان أغلب تلك القبائل يخضع لحتمية الوضع الأمني السائد آنذاك في الجزيرة العربية، والمتمثل في حتمية العداءات المُستمرة سواء بين القبائل والسلطة المركزية، أو فيما بينها وبين بعضها، وهو ما أدى إلى خلخلة المنظومة الأمنية في بلاد الحجاز(٩١).

كذلك فإن تهاون السلطة المحلية في بسط الأمن كان من أبرز الأسباب التي أدّت إلى انتشار أعمال السلب والنهب. ووفقًا لوصف الرحالة فراير، فإن الجنود العثمانيين لم يوفّروا حمايةً تُذكر للمسافرين في أراضي الحجاز، ويُضيف فراير سببًا آخر يتمثل في الكراهية العميقة المتبادلة بين القبائل العربية والعثمانيين، مشيرًا إلى أنه لو قُدّر للطرفين تجاوز عداوتهما، والتعاون في الشئون الأمنية، لكان بمقدورهما القضاء على عدوّهما المشترك(٩٢).

كما أدى تقاعس بعض حُكّام الحجاز في تعاملهم مع اللصوص إلى إضعاف الحالة الأمنية؛ إذ كثيرًا ما كانوا يُطلقون أيديهم دون رادع، ويغضّون الطرف عما يرتكبونه من سرقات، وإذا ما قُبِض على أحدهم وسُجِن أمام الملأ سرعان ما يُفرج عنه سرًّا في جنح الليل(٩٣).

ومن المرجّح أن تهاون الحكّام مع اللصوص كان بدافع منحهم فرصة ثانية، وتأديبهم بالعفو والتسامح، وقد يكون أيضًا نابعًا من خشيتهم من تمردٍ أو عصيان قد يُحدثه أولئك اللصوص، خصوصًا إذا كانوا ينتمون إلى قبائل ذات نفوذ واسع، وربما يعود ذلك إلى وجود مصالح مشتركة تربط الحكّام ببعض أولئك اللصوص، حيث كانوا يعتمدون عليهم في تحقيق غاياتهم بطرق غير مباشرة.

ومن الأسباب الأخرى كذلك جبن بعض الأمراء ورضاهم بوقوع الظلم على غيرهم، إلى جانب الصراعات الدائمة، والتنافس المستمر على السلطة، فقد كان أمراء الحجاج يتمتعون بصلاحيات واسعة تفوق أحيانًا سلطة الشريف نفسه، وكان التنازع بينهم سببًا رئيسًا في تعطيل صدور القرارات الأمنية اللازمة لمواجهة أعمال السلب والنهب، وقد استغل اللصوص هذا التراخي والانقسام ما أدّى إلى تفشي السلب والنهب في المدينة المنورة على الرغم مما كانت تحظى به من وسائل حماية كالحصون والقلاع الكثيرة(٩٤).

ومن دلائل التدهور الأمني في بلاد الحجاز ما أكّده الرَّحّالة جون فراير من أنه حينما عزم على القيام برحلة للحج سنة **١٢٩٥**هـ/ **١٨٧٧**– **١٨٧٨**م، نصحه القنصل البريطاني بعدم السفر بسبب أن الطرق غير آمنة، وأن منطقة الحجاز تعج بالفوضى العارمة بعد انسحاب الحامية التركية منها، واتجاهها إلى الحرب مع أوروبا في ذلك التوقيت، ورغم تحذيرات القنصل البريطاني الذي كان يملك– بلا شك– تقارير موثقة عن الوضع الأمني ببلاد الحجاز، فقد أصّر الرّحّالة فراير على الذهاب للحج في ذلك الموسم(٩٥).

بل وصل أمر اختلال الأمن في بلاد الحجاز إلى درجة خروج بعض الحجاج مُسّلَحِين وكأنهم حسب وصف أحد الرَّحّالة "سائرون إلى دار حرب لا دار قد أمّن الله فيها حياة الإنسان والحيوان"(٩٦).

**خامسًا: الأسباب الجغرافية والبيئية:**

لا يمكن تناول السلب والنهب بمعزل عن العوامل الجغرافية؛ إذ إنَّ البيئة أو المكان قد يُشكّلان ظرفًا مساعدًا لارتكاب الجريمة، فبعض المواقع الجغرافية تميّزت بأنها مناطق جذب للجريمة، وفي الوقت نفسه مناطق لجوء آمن للمجرمين، فمنطقة مثل بلاد الحجاز جعلت الجغرافيا منها منطقة عبور دولية بين العراق، والشام، واليمن، ومصر، وبلاد المغرب، وبالتالي شكّلت منطقة جذب للأنشطة التجارية والدينية، ما زاد من احتمالية تعرضها لموجات من اعتداءات اللِّصوص، كذلك فإن مرور قوافل الحج والتجارة بأرضها جعل منها أهدافًا مغرية للصوص وقطاع الطرق(٩٧)، أضف إلى ذلك قلة الموارد الطبيعية، ونُدرة المياه في بعض مناطق بلاد الحجاز(٩٨)، والتي دفعت ببعض السكان نحو أعمال السلب والنهب كوسيلة للبقاء خصوصًا في الفترات التي شهدت اضطرابات سياسية واقتصادية.

من جانب آخر أدى اتساع الرقعة الصحراوية، وانتشار الجبال الوعرة ببلاد الحجاز إلى صعوبة فرض السيطرة الأمنية عليها، الأمر الذي سهّل على اللصوص الاختباء، واعتلاء بعض هذه الجبال لمراقبة المسافرين من تجار وحجاج وأفراد، وانتهاز كل فرصة لسرقة كل من تأخر عن الركب من هؤلاء العابرين والمسافرين في الوقت المناسب، فضلاً عن أن هذه التضاريس وفرت للصوص إيجاد ملاذات طبيعية يمكن من خلالها شن الهجمات، ثم العودة للاختباء مرة أخرى(٩٩).

كذلك سهّلت الطبيعة البيئية المُعقدة لإقليم الحجاز على اللصوص نصب الكمائن، وسرقة الناس، وبشكل خاص في المناطق الجبلية التي كان من السهل الاختباء فيها، ومن ذلك انقضاض اللصوص من رؤوس الجبال على مَحْمل أمير الحج عند نزوله العقبة عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م(١٠٠). كذلك يسّرت الجبال على اللصوص الاختباء بها، وإرهاب الناس من خلال إلقاء الحجارة عليهم حتى يخرجوا من رحالهم ليتسنى لهم بذلك نهبهم(١٠١).

من خلال العرض السابق يتضح أن ثمة عوامل متعددة ومتشابكة كانت وراء انتشار السلب والنهب في بلاد الحجاز على نحو ما سوف يتضح لاحقًا.

**المحور الثاني: أنواع السلب والنهب ووسائله في مجتمع بلاد الحجاز في ضوء كتابات الرحالة.**

قبل توضيح أنواع السلب والنهب السائدة في بلاد الحجاز لا بد من تبيان أهم الفئات المتورطة في تلك الأعمال. واقع الأمر لم يكن مرتكبو جرائم السلب والنهب في بلاد الحجاز ينتمون إلى فئة اجتماعية واحدة، بل تشكلت هذه الأعمال نتيجة تداخل عدد من الفئات المتباينة، والتي أمكن من خلال ما ورد في كتابات الرَّحّالة تقسيمها من حيث طبيعة تكوينها وتنظيمها إلى فئتين هما: أعمال السلب والنهب الجماعي، أعمال السلب والنهب الفردي، وسوف نتناول كل نوع منهما بالتفصيل.

أما فيما يتعلق بأعمال السلب والنهب الجماعي فتأتي في المرتبة الأولى من حيث الخطورة، وهي عبارة عن عصابات مُنظمة لها قائد أو زعيم، وتُمارس هذه الفئة نشاطًا إجراميًّا مستمرًّا، وغالبًا ما كانت تُغير على مراكز الدولة وهيئاتها الحكومية، وتستخدم هذه الفئة العنف، وتلجأ– في بعض الأحيان– إلى فرض الإتاوات على القرى أو القوافل، وتشمل تلك الفئة ما يمكن تسميتهم باللصوص المُتمردين الخارجين عن القانون، ويتألفون من بعض المرتزقة، أو جنود عثمانيين ومحليين مُنشقين على السلطة، وهذه الفئة تجلت خطورتها في أنهم مدربون على القتال، ولديهم خبرة في استخدام الأسلحة. وقد شكّل هؤلاء خطرًا على أمن بلاد الحجاز طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، مُستغلين تدهور الأوضاع السياسية والأمنية، وقد اعتادت تلك الفئة السطو على هيئات الدولة ومراكزها الخدمية، مثلما حدث في ١٥ ربيع أول ١٢٥٠هـ/ ٢١ يوليو ١٨٣٤م حينما هاجموا المستشفى الذي يقع تحت حراسة سبعة من الرجال في منطقة بيشة[١٠٢]، وسلبوه كامًلا، كما تخصصت تلك الفئة في سرقة الجنود العثمانيين، ولدينا أمثلة كثيرة على تلك التعديات، نذكر منها– على سبيل المثال–

قيامهم بسرقة مجموعة من الجنود السود، وسلب ملابسهم وأسلحتهم بعد أن اعتدوا عليهم بالضرب(١٠٣).

وبخصوص أعمال السلب والنهب الفردي فيأتي هذا الشكل من السرقات في المرتبة الثانية والأخيرة، وتُمارسه مجموعة من الأفراد بشكل مُستقل بدوافع شخصية مثل الفقر، وصعوبة الحياة الاقتصادية، أو كثرة الظلم، وعلى الرغم من أن سرقاتهم عادة ما تكون محدودة، فإنه كان يَصعب تتبُّعهم بسبب عدم انتمائهم إلى مجموعات مُنظمة. ومن الفئات التي مارست السرقات الفردية أفراد من الشّيالين والجمّالين، وعادة ما كانوا يقومون بسرقة المسافرين، ويولوا هاربين، وكانوا على حد قول أحد الرَّحّالة يحافظون على حياة الحجاج، وعلى أمتعتهم متى غمرهم الحجاج بالأعطيات من مأكولات، ومشروبات، وكانت تزداد عنايتهم بالحجاج إذا وُعِدوا بكسوة يعطونها لهم في نهاية الرحلة، أما من بخل عليهم بماله فكانوا يسومونه سوء العذاب؛ فتارةً يقطعون حِزام الجمل فيقع راكبه، ويتأخر عن القافلة، فيسلبوه ما يملك، وأحيانًا كانوا يقتلونه إذا لم يعطهم مالًا، وتارة يؤخرون الجمل عن القافلة بحجة أن الرحل في حاجة إلى إصلاح، وكان هدفهم من ذلك هو الفتك به(١٠٤).

وقد شكل هؤلاء الشّيالون والجمّالون خطرًا هدد فريضة الحج حسب ما ذكره الرَّحّالة الورثلاني: "وهذا كله يرشد إلى أن الزمان قد زاد في الظلم والتعدي لدرجة كادت فريضة الحج أن تسقط من ظلم الولاة، وأصحابهم، والعرب البدو، وسرقات الشّيالين العديدة التي كثرت لكثرة الظلم والرشوة"(١٠٥).

ولم تقتصر أعمال السلب والنهب الفردي على فئة الشّيالين والجمّالين فقط، بل يمكن إضافة فئة أخرى لهم وهم أفراد من العبيد والخدم كانوا يقومون بهذا الفعل الشنيع، وقد أشار إلى ذلك الرَّحّالة نيبور؛ حيث ذكر بأن أحد الخدم سرق من أغنياء جدة أموالًا بلغت قيمتها نحو ٢٠٠ دوكًا(١٠٦)، وكان قد تمت معاقبته بنفيه خارج البلاد(١٠٧).

**أما عن أنواع السلب والنهب، فقد تنّوعت بين سطوٍ على قوافل الحج والتجارة، والرَّحّالة، والقبائل، والمساكن، والقري والأراضي الزراعية، والجيش العثماني وغيرهم وفق الآتي:**

**أ- سلب ونهب قوافل التجارة والحج:**

رغم تشديد الشريعة الإسلامية على حُرمة التعدي على النفس والعرض والمال، ورغم ما أقرته الشريعة الإسلامية من تحريم التعرّض للحجاج، أو سلب أموالهم، فإن أعين الرَّحّالة رصدت وقائع متعددة لاعتداءات اللصوص على قوافل الحجاج لاسيما في الفترات التي تراجعت فيها سلطة الدولة المركزية، أو سادت فيها الفوضى السياسية والأمنية، فقد اعتاد بعض اللصوص من البادية، خصوصًا الذين يتركزون في المناطق النائية، بين جدة ومكة، وبين مكة والمدينة، والمدينة المنورة وينبع على ممارسة السلب والنهب، وقطع الطريق على الحجاج؛ وذلك لسلبهم، أو فرض إتاوات عليهم مقابل المرور بأراضيهم، وتُشير كُتب الرَّحّالة إلى أن هذه الاعتداءات لم تكن دائمًا ذات طابع فردي، بل كانت تتم من خلال تشكيلات عصابية تستهدف ما تحمله قوافل الحج من أموال، ونفائس، وهدايا، دون أن تعتبر ذلك جريمة، ثم تقوم ببيع المسروقات علنًا وبكل حرية(١٠٨).

فعلى مقربة من المدينة المنورة تشكلت عصابة كبيرة لرصد الحجاج وسرقتهم(١٠٩)، كما وجدت عصابة أخرى في وادي منى التي كان يخيم فيها الحجاج، ويعود سبب ذلك إلى أن الشارع الذي يمتد بطول وادي منى قد تحول إلى سوق تم تجهيزها على شكل دكاكين مُلِئت بالبضائع والسلع التي تأتي من مكة، وعلى النقيض من بعض البلاد الإسلامية التي تتوقف فيها حركة البيع والشراء خلال فترة الأعياد، فلم يكن يتم ذلك في ذاك الوادي(١١٠)؛ لذلك كَثُرت أعداد اللصوص الذين كانوا يعتلون الجبال، ويلقون الأحجار على الحجاج بهدف إرهابهم وإخراجهم ليتسنى لهم سرقتهم بعد ذلك، الأمر الذى دفع بالعديد من الحجاج إلى

عدم الاقتراب من الجبال، والبقاء في منى حول بعضهم لتتم إغاثتهم في حال انقضاض اللصوص عليهم(١١١).

كذلك دأب اللصوص على قطع الطريق عند منطقة يُقال لها "وادي فاطمة"(١١٢) على الطريق الواصل بين مكة والمدينة، حيث يقص أحد الرَّحّالة كيف أنهم بعدما وصلوا إلى تلك المنطقة سمعوا أن الأشقياء من العربان يرابطون بها، ولما أرادت القافلة العودة مرة أخرى إلى مكة أشاع الأدلاء أن الطريق آمن، وأن العربان رحلوا عنه؛ وذلك حتى لا يطالب أفراد القافلة الأدلاء بإعادة ما دفعوه لهم مقدمًا من أجر الحماية، وأجر الجمال، فلما اطمأن أفراد القافلة إلى قول الأدلاء ساروا معهم حتى وادي فاطمة، وهناك هجم اللصوص عليهم فسلبوهم ما يملكون(١١٣).

كذلك تحدث أحد الرَّحّالة عن منطقة خطرة أخرى كانت مكمنًا للصوص، وهي منطقة أطلق عليها "الحفائر أو الضريبة"، وقد وصفها الرَّحّالة بأنها تتمتع بتوافر المياه العذبة بها، ومن ثم كانت مقرًّا لنزول القوافل(١١٤).

وحسب الرَّحّالة جوزيف بتس فقد اعتاد اللصوص الهجوم على قوافل الحجيج مما يترتب عليه شيوع الخوف والفزع بين الحجاج، وتسود الاضطرابات بينهم، ويتدافعون بشدة مما يؤدي إلى موت أعداد كبيرة منهم، فمن لم يمت بسبب هجوم اللصوص مات بالدعس، وفي أحيان أخرى كان اللصوص يخطفون الحجاج البعيدين عن باقي الحجيج ليجعلوا منهم خدمًا أو مساعدين للجّمالة(١١٥)، بل وصل الأمر– حسب الرَّحّالة نفسه– إلى تفشي السرقة حتى في منطقة الحرم ذاته(١١٦).

وتُشير الوثائق وتقارير الرَّحّالة إلى ازدياد نشاط السلب والنهب في القرن التاسع عشر على وجه التحديد؛ ففي حج سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م جرّد اللصوص كل الحجاج وهم في طريقهم للحج من كل ما يمتلكون، حتى من ملابسهم(١١٧)، ويبدو أن هذه الواقعة أحدثت

ردود فعل قوية وصلت إلى حد أن قام محمد علي باشا بإبلاغ ابنه إبراهيم باشا عن تلك السرقات، وأمره بالقضاء على هؤلاء اللصوص، وذلك حسب ما جاء في الوثيقة رقم ٦٣ في المحفظة الرابعة بتاريخ ٧ يوليو ١٨١٦م/ ١٢ شعبان ١٢٣١ه المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، حيث يقول فيها:" حضرة صاحب السعادة والمودة ولدي الأعز باشا، إنه توجد فائدة أيضًا من وجود ذاتكم الشريفة بذاك الصوب، التي هي مسألة أمنية واستراحة للحجاج المسلمين، وعودتهم راضين عنا وعنكم في جميع الأحوال. وإنه معلومًا لدينا بأن سعادتكم من أرباب الديانة، وتهتمون بالمسألة المهمة، إلا أن من البديهي أيضاً عدم اكتراث الطائفة العسكرية من إيقاع بعض الأمور التي تشين سمعتنا وشأننا، وأنه قد استجيز سرقة بعض الحيوانات في موسم الحج من حجاج الشام ومصر، وحتى أنهم قد أخبروني فيما بعد عن وقوع أمور مثل هذه في العام الذي وجدنا نحن هناك، وأضافوا على ذلك أيضًا خبر حصول هذه الكيفية من الطائفة العسكرية، ويستكمل قائلاً إن هذه السرقات تمس بشرفنا وشهرتنا، ومن ثم فإن مهمتكم هي إعطاء الأوامر للجنود للحيلولة دون وقوع السرقات، والاعتناء بعودة الحجاج سالمين"(١١٨).

وتعكس تلك الوثيقة المهمة عدة جوانب يمكن حصرها في الآتي:

**أولًا:** تعكس الوثيقة اهتمام محمد على باشا البالغ بأمن بلاد الحجاز، وإدراكه لأهمية موسم الحج كمسألة دينية وسياسية.

**ثانيًا:** يتضح من فحوى الوثيقة أن إبراهيم باشا كان يتواجد بنفسه في منطقة بلاد الحجاز للإشراف المباشر على الحجيج، وإدارة موسم الحج.

**ثالثًا:** تكشف الوثيقة عن استشراء خطر أعمال السلب والنهب إلى الحد الذي دفع بمحمد علي إلى مخاطبة ابنه من أجل القضاء التام على خطر هؤلاء اللصوص.

**رابعًا:** تُعرب الوثيقة عن مخاوف من تجاوزات "الطائفة العسكرية"، لاسيما من حيث تورّط بعض الجنود في سرقة دواب الحجاج، ويرى محمد علي في ذلك خطرًا على "شرفنا وشهرتنا" مما يؤكد ربطه المباشر بين أخلاقيات الجنود، وسمعة الدولة، وهو ما أشار إليه أحد الرَّحّالة الذي وصف تلك الطائفة بأنصاف عسكر، وأنصاف لصوص(١١٩).

وبالرغم من محاولات إبراهيم باشا القضاء على خطر السلب والنهب في بلاد الحجاز، إلا أن ما رواه الرَّحّالة يعكس عدم توقف اللصوص عن مهاجمة قوافل الحج؛ ففي أثناء حج عام **١٢٣٣**هـ/ **١٨١٨**م تخطى اللصوص حد السلب والنهب، وقاموا بقتل أعداد كبيرة من الحجاج الشوام وهم في طريقهم للعودة إلى بلادهم مما تسبب في قلة أعداد الحجاج في العام التالي، إذ لم يزد عدد الحجاج في عام **١٢٣٤**هـ/ **١٨١٩**م عن خمسمائة حاج فقط لا غير(١٢٠).

كذلك تعرضت قافلة الحج المصرية يوم **٣** ربيع الثاني **١٢٥٠**هـ/ **٨** أغسطس **١٨٣٤**م لهجوم اللصوص وقطاع الطرق، حيث نهب اللصوص كل ما بالقافلة، وقتلوا عددًا من الحجاج الذين حاولوا الدفاع عن أنفسهم، وتم ذلك في المنطقة الواقعة ما بين الثنية وبيشة(١٢١).

كما هدد اللصوص وقطاع الطرق حياة الحجاج لدرجة أن أصبحت الفتاوى تصدر بإسقاط فريضة الحج نظرًا لمخاطر الطريق، وهو ما أورده الرَّحّالة الورثلاني بقوله: "زاد الظلم والتعدي حتى كاد الحج أن يكون ساقطًا بسبب ظلم الولاة وأصحابهم والعرب، وظلم الشيالين الذين زادوا في الارتياش للظلم والشكوى"، وهو ما أثر سلبًا على اقتصاد منطقة بلاد الحجاز(١٢٢).

ولدينا أيضًا وثيقة مهمة مؤرخة بغرة جمادى الأولى سنة **١٢٨٣**هـ/ سبتمبر **١٨٦٦**م، وهي عبارة عن تقرير من أعضاء مجلس جدة إلى أحد المسئولين العثمانيين يطلبون منه ضرورة

التحقيق في أسباب سرقة أموال التجار القادمين من الهند واليمن ومصر عن طريق البحر إلى جدة، وضرورة كشف هوية اللصوص، ووضع حد لتلك السرقات(١٢٣).

ومن خلال تاريخ الوثيقة يظهر أن حوادث سرقة التجار تمت في ستينيات القرن التاسع الميلادي، وهو وقت ضعْف السلطة العثمانية المركزية، واعتمادها على المجالس المحلية، كذلك تعكس الوثيقة اضطراب الأمن البحري في ميناء جدة، الأمر الذي يكشف عن أن اللصوص كانوا يهاجمون البر والبحر معًا.

وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ظل قُطَّاع الطرق شوكة في حلق قوافل التجارة والحج، وهو ما أوضحه الرَّحّالة والعسكري الروسي عبد العزيز دولتشين الذي قَدِمَ إلى بلاد الحجاز سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م لأداء فريضة الحج، حيث تحدث ضمن رحلته عن مشاهدته لهجوم اللصوص على أحد الحُجاج، وسلب خمس ليرات منه، وقيامهم بقتل حاج آخر بعد أن سلبوا منه أربعين ليرة، كما تحدث عن سماعه عن مقتل جندي على أيدي بعض اللصوص كان في طريقه من جدة إلى مكة(١٢٤).

جُملة القول، فإنه على يد هؤلاء اللصوص انتشرت أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز بشكل مزعج، فبين مكة والمدينة يشير جوزيف بتس إلى خطر اللصوص هؤلاء فيقول: "وأثناء هذه الرحلة تسبب اللصوص في المتاعب لبعض الحجاج لتسللهم القافلة عدة مرات؛ وذلك أن هؤلاء اللصوص ينقضون على أطراف القافلة، ويخطفون خصوصًا الحجاج البعيدين عن بقية زملائهم؛ ليجعلوا منهم خدمًا أو مساعدين للجمَّالة، وعندما يرى هؤلاء البدو حاجًّا قد استغرق في النوم يقومون بفك رباط جمله من الأمام ومن الخلف، ويقوم أحد اللصوص بقيادة الجمل بعيدًا، بينما يكون الحاج نائمًا فوقه، ويقوم اللص الآخر في الوقت نفسه بسحب الجمل الثاني ليربطه بجمل آخر بدلًا من الجمل المسروق حتى لا يتوقف إذا

شرعت القافلة في المسير، فتتوقف كل الجِمال التي وراءه بطبيعة الحال مما يعني اكتشاف اللصوص"(١٢٥).

ويؤكد الورثلاني على خطر اللصوص، فيذكر أن الحجاج في مكة كانوا يهربون ويتجنبون الأماكن التي يكثر فيها هؤلاء، ومن ذلك تركهم لمزارات مكة "والناس في زماننا قد تركوا ذلك كله .. إلا من شدّ من الناس لكثرة الإذاءة والخوف من اللصوص، وقد زاد الفساد والظلم والتعدي فلا يكادون يرجعون عن التعدي، بل أقل شيء يقتلون عليه العبد"(١٢٦). كذلك عانى الحجاج من خطر اللصوص في المدينة، فحسب الورثلاني "خرجنا مسرعين في أزقة المدينة إلى أن خرجنا من الباب الذي يخرج منه الحجاز، وإذ بالناس منها يقولون إن العرب يضرونكم ويؤذونكم .. وحالة خرجنا منها مع الخوف والحرامية يتبعون وراءنا إلى أن وصلنا إلى الركب"(١٢٧).

كذلك تحدث الرَّحّالة عن قيام قبائل حرب وبني صخر وعنزة بقطع طريق الحج الأصلي المُسمى بالطريق السلطاني، الأمر الذي جعل أمير الحج يخشى المرور منه أثناء حج سنة **١١١٥**هـ/ **١٧١٣**م، واضطر إلى اتخاذ طريق آخر فرعي صعب المسالك، قليل الماء، مسافته أبعد(١٢٨).

وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ظل قُطَّاع الطرق من اللصوص شوكة في حلق الحجاج؛ ففي سنة **١٣٠٤**هـ/ **١٨٩٩**م، وأثناء رحلته لأداء فريضة الحج كتب الرَّحّالة عبد العزيز دولتشين عن خطورة هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق، فذكر أنه سمع من الناس أن البدو هاجموا قافلة الحجاج فسلبوا من أحد الحُجاج خمس ليرات، وقتلوا آخر، وأخذوا أربعين ليرة، وأن جنديًّا لقي حتفه أثناء طريقه من جدة إلى مكة على أيدي هؤلاء اللصوص أيضًا(١٢٩).

**ب- سلب ونهب الرَّحّالة الأجانب:**

لم تتوقف سرقات اللصوص عند حدِّ سرقة الحجاج والمدن والقرى الحجازية، بل تخطتهم إلى سرقة الرَّحّالة الأجانب؛ فقد تعرض الرَّحّالة بايارد تايلور لهجوم اللصوص على قافلته الذاهبة إلى بلاد الحجاز في ٩ صفر ١٢٦٨هـ/ ٣ ديسمبر ١٨٥١م، وحكى الرَّحّالة كيف ضربه اللصوص على أم رأسه، وسلبوا بندقيته، وكل ما يلمكه، ولم ينجُ تايلور بحياته إلا بعدما صاح بأقرب الفرسان "أنا دخيلك"، وهو الشكل المُتعارف عليه للاستسلام في بلاد الحجاز، ثم ألقى بنفسه من على فرسه، تاركًا الفرس ليستولي اللصوص عليه(١٣٠).

كذلك تعرض الرَّحّالة ريتشارد بريتون هو ومن معه للسرقة أثناء رحلته إلى الحجاز عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م حينما كان يخيم بقرية الحمرا(١٣١)؛ حيث هاجم اللصوص القافلة ليلاً، ونجحوا في سرقة عدد من الجمال رغم محاولة الفرسان الخيالة إخافة اللصوص بإطلاق قذائف البارود(١٣٢).

كما تعرض الرَّحّالة بالجريف خلال رحلته إلى الحجاز في شهر يوليو من عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م لمحاولة سرقة على يد لصوص من بدو شمر، كانوا قد اتفقوا مع لصوص من قبيلة الشرارات(١٣٣) على سرقة الرَّحّالة بالجريف، ظنًّا منهم أنه يملك ثروة طائلة، لكن عملية السرقة لم تتم بسبب تهديد الرَّحّالة بالجريف للصوص بأنه سيشكوهم إلى طلال بن الرشيد (١٨٤٧- ١٨٦٨م) أحد الحكام الوهابيين، فخوفًا من وقوع لصوص تلك القبائل في يد ابن الرشيد امتنع اللصوص عن سرقة الرَّحّالة بالجريف(١٣٤).

وإذا كان الرَّحّالة بالجريف قد نجا من محاولة سرقته في يوليو من عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م، فإنه لم ينج من سرقته في سبتمبر من العام نفسه، وقد تمت السرقة على يد أحد مُرشدي بالجريف يُدعى أبو عيسى، حيث قام بسرقة ملابسه، وبعضٍ من المال، بالإضافة إلى هون قهوة كبير مصنوع من النحاس الأصفر، كان يستخدمه بالجريف في طحن الأعشاب

التي كان يستخدمها في علاج المرضى، وعلى الرغم من محاولات البحث عن اللص الهارب، إلا أن الأنباء التي وصلت أفادت بأن اللص شُوهد على طريق المدينة المنورة، وبالتالي ليس هناك أمل في الإمساك به(١٣٥).

وبعد سنتين من سرقة بالجريف تعرض الرَّحّالة كارلو جوارماني Carlo Guarmani(١٣٦) لحادثة سرقة أيضًا عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م من قبل قبيلة الشرارات، وأسفر الاشتباك معهم عن مقتل اثنين، وإصابة عشرة من المرافقين لجوارماني، ورغم محاولات جوارماني ورفاقه الدفاع عن القافلة، إلا أن الثلاثين لصًّا نجحوا في سلب القافلة، وسرقوا كل ما فيها حتى ملابس الرجال، وتركوهم شبه عراة، أما النساء فسرقوا أغطية رؤوسهن فقط(١٣٧).

كذلك تعرضت القافلة التي كان بصحبتها الرَّحّالة تشارلز داوتي للسرقة في شهر أبريل من عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، حيث هاجم اللصوص مراعي إبل القافلة، وعلى الرغم من محاولات الرَّحّالة داوتي ومرافقيه الدفاع عن القافلة باستخدام الأسلحة النارية، إلا أن اللصوص الذين كانوا ينتمون إلى قبيلة الشرارات، والبالغ عددهم ثلاثة عشر خيالًا، وعشرين لصًّا آخرين ركبوا جمالًا، وتمكنوا من سرقة نحو مائة وسبعة عشرين رأسًا من الإبل، قدرت قيمتها بحوالي ٦٠٠ جنيه إنجليزي(١٣٨).

ولدينا أيضًا حالة سلب ونهب تعرض لها الرَّحّالة ولفرد بلنت وزوجته آن بلنت(١٣٩) في رحلتهما عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، حيث يقص الرَّحّالة كيف أنه استيقظ هو وزوجته على صوت شجار حارس الخيمة مع لص كان ممسكًا به، وآخذ في ضربه على قدميه وهو يقول له بين الحين والآخر: " يا لص، يا كلب، يا خنزير، يا حرامي"، ويستطرد الرَّحّالة فيذكر أنه أصدر على الفور أوامره بإطلاق سراح اللص قبل طلوع النهار، وعلل ذلك بأن تسليمه اللص إلى حاكم المدينة قد يؤدي إلى تأخير موعد رحلته، كذلك فإن الحادث ربما كان من

تدبير حارس الخيمة بالاتفاق مع اللص على أمل المكافأة التي يمكن أن يحصل عليها من الرَّحّالة، وهي حوادث على حسب قول ولفريد بمثابة مهازل تتكرر في بلاد الشرق(١٤٠).

ولم ينج الرَّحّالة فراير من السرقة أثناء رحلته للحج في موسم عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧–١٨٧٨م وهو في مكة لأداء مناسك الحج(١٤١). كذلك تعرض الرَّحّالة نفسه أيضًا للسرقة عند مكان يسمى الحدة ما بين مكة وجدة أثناء استراحة القافلة فيها(١٤٢)، كما هاجم لصوص من عرب عتيبة أيضًا الرَّحّالة شارل هوبير في يوم ٣١ يوليو ١٨٨٠م/ ١٢٩٧ه عندما كان عائدًا برفقة ابنه البالغ من العمر ستة عشر عامًا على جملين محملين بالأرز في جبل سلمى، وخلال دفاع شارل عن نفسه جرح في رأسه وكتفه، وقُتل ابنه، وفر اللصوص هاربين(١٤٣).

كذلك تعرض الرَّحّالة البارون إداورد نولده مرتين للسرقة خلال رحلته إلى بلاد الحجاز وبالتحديد في صحراء الجوف؛ وكانت المرة الأولى يوم ٢٣ يناير ١٨٩٣م/ ١٣١٠ه عندما هاجمه حوالي مائة لص. أما المرة الثانية فكانت في ليلة الثالث من فبراير ١٨٩٣م/ ١٣١٠ه عندما هاجمت عصابة من اللصوص معسكر نولده(١٤٤).

وحدث الأمر نفسه مع العقيد الروسي عبد العزيز دولشتين عندما تعرض للسرقة في ٤ مايو ١٨٩٨م/ ١٣١٥ه من قِبل قبيلة لُحابة التي تعد واحدة من القبائل الأشد لصوصية؛ حيث انقض اللصوص على قافلة دولشتين، وسلبوا ونهبوا كل ما وقع في أيديهم من أسلحة وبنادق، وملابس، حتى ملابس الإحرام تمت سرقتها(١٤٥).

**ج–سلب القبائل:**

وإلى جانب السرقات السابقة كانت قبائل الحجاز تغير على بعضها البعض بهدف السرقة، ومنها إغارة قبيلة بني علي على قبيلة البِشر على الرغم من أنهم ينتمون إلى قبيلة واحدة وهي قبيلة العنزية العربية، وعلى الرغم من ذلك فقد كان الحقد دفينًا بينهم؛ فيروي لنا

الرَّحّالة تشارلز دواتي أن هاتين القبيلتين كانتا كثيرًا ما تُغيران على بعضهما البعض بهدف سرقة كل ما تحويه خيامهم، ويستنكر في ذلك إغارة لقبيلة أولاد علي على قبيلة بشر كانت قد أسفرت عن وقوع عدد كبير من المصابين بتلك القبيلة، ولم يدفع ذلك قبيلة البشر على الثأر أو الانتقام؛ ولهذا تركوا أعداءهم يعودون إلى ديارهم سائرين على أقدامهم إلى زوجاتهم، وكان ذلك لعدة أسباب منها: أنه لا توجد قبيلة عربية تسمح أو ترضى بمحو قبيلة من القبائل الأخرى، إضافة إلى ذلك كان البدو يشفقون على أعدائهم المهزومين، وتسيطر عليهم روح العصبية والقبلية(١٤٦).

كذلك تخطت سرقات القبائل لخيام بعضهم البعض إلى سرقة فرسان القبائل الأخرى بهدف بيعها، والعيش على ما يدره بيعها من أموال، ومن ذلك سرقة قبيلة السبع فرسًا من فرسان الأمير فواز كان يعتبر من أفضل وأشهر سلالات الخيول في الجزيرة العربية كلها، وعند ذلك أرسل فواز أحد رجاله إلى قبيلة السبع بعرض قدره أربعون جملاً، ولكن قبيلة السبع رفضت العرض، وكان البديل الوحيد هو استعادته عن طريق الشراء، ومحاولة تفادي الدخول في حرب مع تلك القبيلة، لذلك اقتضى الأمر التفاهم بألا يُسفك دم من الجانبين، وأخذ رجال الأمير فواز يراقبون الفرس الذي كان في مخيم من المخيمات، واكتشفوا وجود الفرس مع جمال وخيول القبيلة تحت حراسة ضعيفة من قبل بعض الفتيان، وكان المخيم بعيدًا عن مخيمات القبيلة مما سهل على فواز عودة فرسه بسبب سقوط الأمطار، ومن ثم لم يكن في حسبانهم هجوم فواز عليهم بسبب ذلك، بالإضافة إلى ما سبق ففي حال حدثت أية مناوشات، فسيكون القتال بعيدًا عن خيام قبيلة السبع؛ لأن البدو النبلاء يعتبرون قتال العدو قرب خيامهم نوعًا من البربرة. وخلاصة الأمر فقد حالف الحظ مخططات فواز من البداية للنهاية؛ فقد هدم المخيم في الصباح الباكر، وبعد بضع ساعات حاصر المراعي التي ترعى فيه خيول السبع، وتمت استعادة الفرس دون الدخول في قتال مع الأعداء(١٤٧).

**د- سلب ونهب المساكن:**

وإلى جانب سرقة القبائل لبعضها البعض فقد كانت تتم سرقة المنازل في بلاد الحجاز أيضًا، وبشكل خاص داخل مكة والمدينة، وكانت عمليات السطو تزيد خصوصًا عندما يحتدم الصراع بين الأشراف والقبائل، ومثال ذلك عندما تم نهب جميع ما في البيوت من أموال وأثاث عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م(١٤٨).

كما تخصص بعض اللصوص في سرقة المنازل في بلاد الحجاز أيضًا، وبشكل خاص داخل مكة والمدينة، ويُحدثنا أحد الرَّحّالة عن عمليات السطو التي كانت تزيد بشكل مطرد للبيوت، خصوصًا عندما يحتدم الصراع بين الأشراف واللصوص، مثلما جرى من نهب لجميع ما تحويه البيوت من أموال وأثاث ومجوهرات عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م(١٤٩).

**ذ-سلب ونهب الجيش العثماني:**

كما كانت تتم سرقة الجيش العثماني على يد اللصوص في الحجاز بإستمرار، كما حدث عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، وباع اللصوص كل المسروقات للمكيين في سوق عرفات(١٥٠).

وفيما يتعلق بالأساليب المستخدمة في أعمال السلب والنهب السابقة فقد رصدت أقلام الرحالة خططاً متعددة تنوعت تبعًا لاختلاف طبيعة الفئة التي تمارس السلب والنهب (أفرادًا أو جماعات)، وكذلك باختلاف المناطق الجغرافية التي تنشط فيها تلك الأعمال ويمكن تصنيف هذه الأساليب على النحو التالي:

**١- نصب الكمائن والفخاخ في الممرات الجبلية والمناطق الوعرة:**

اعتمد اللصوص وقُطّاع الطُرق على أسلوب نصب الكمائن، وكانوا يفضلون نصبها في الأماكن الوعرة، حيث يصعُب تحرك القوافل والمسافرين، كما كانوا ينصبونها في مناطق مُغطاة بالأحراش الكثيفة، أو بين النخيل والأشجار(١٥١)، فيسهل الانقضاض على

المسافرين، كما كانوا يراعون نصبها في نهاية الممرات الجبلية والطرق والوديان الضيقة التي يصعب وصول قوات الحرس إليها بسرعة. كذلك كان توقيت الهجوم يُختار بدقة، وغالبًا ما كان الكمين ينصب ليلاً، أو عند الفجر؛ لتقليل خطر المواجهة أو المُطاردة. أما عن الأسلحة، فكان اللصوص يستخدمون في الأغلب أسلحة لا تُحدث خشخشة أو أصواتٍ يستدل منها على مكان الكمين كالسكاكين، والخناجر، والسيوف، كما استخدموا البنادق والمسدسات(١٥٢).

ومن خلال روايات الرَّحّالة أمكن تحديد عددٍ من المناطق التي اتخذ منها اللصوص وقطاع الطرق أماكن للكمن؛ إذ أشار أبو البركات السويدي إلى منطقة تسمى بالعُلى، تبعد عن المدينة المنورة حوالي ثلاثمائة كيلومتر ٣٠٠ كم تقريبًا، وإلى خطورة هذه المنطقة على الحُجاج في زمنه، فذكر أن عرب عنزة يكمنون بمنطقة العُلى، فإذا مر بهم حاج منفردًا قتلوه وسلبوه(١٥٣). كذلك تحدث الرَّحّالة فراير عن وقوع قافلته في كمين أعده اثنا عشر لصًّا من اللصوص بالقرب من مِنى إبان موسم حج ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م، وقد أسفر الكمين عن سرقة عدد من الجمال، وجملة من ممتلكات القافلة(١٥٤).

كما اتخذ اللصوص من منطقة تسمى وادي الحدة بين مكة وجدة مكانًا للكمين، حيث اعتادت قبيلة حرب نصب كمائنها في تلك المنطقة، مُستغلين تخفيهم بين أشجار السنط(١٥٥).

أيضًا دأب اللصوص على نصب الكمائن عند منطقة يُقال لها "وادي فاطمة" على الطريق الواصل بين مكة والمدينة(١٥٦). كذلك تحدث أحد الرَّحّالة على منطقة خطرة أخرى كانت مكمنًا للصوص، وهي منطقة أُطلق عليها "الحفائر أو الضريبة" وقد وصفها الرَّحّالة بأنها تتمتع بتوافر المياه العذبة بها، ومن ثم كانت مقرًّا لنزول القوافل(١٥٧).

**٢- أسلوب المُباغتة والهجوم الخاطف:**

اعتمد اللصوص وقطاع الطرق على أسلوب "المُباغتة والهجوم الخاطف"، حيث تقوم مجموعة من اللصوص بتتبع القافلة كما تتبع الذئاب الجائعة القطيع، مع مراقبة ركب المسافرين، وحين يتوقف الركب يهاجم اللصوص القافلة، وخلال حالة الهرج والمرج التي تنجم عن ذلك يستولي اللصوص على ما يمكن حمله، ثم ينسحبون بسرعة إلى مناطق محصّنة أو وعرة مما يصعّب على القوات العثمانية أو الحراس اللحاق بهم، وغالبًا ما استخدموا الخيول السريعة، أو الإبل في الفرار بأسلابهم، وكان اللصوص يطبقون هذا الأسلوب مع المسافرين الذين كانوا يبتعدون عن القافلة(١٥٨)، ومن ذلك ما حدث مع القافلة التي كان بصحبتها الرَّحّالة فراير، والذي تحدث عن هجوم بعض اللصوص الخاطف على القافلة، حيث أطلقوا النار على جملين من القافلة "بنفس الطريقة التي يتم بها اصطياد غزال من قطيعه" حسب وصف الرَّحّالة نفسه(١٥٩).

وفي هذا الصدد يضع الرَّحّالة بالجريف مراحل لطريقة التلصص السابقة، فيذكر أن اللصوص يلجأون بداية إلى جس نبض الضحية، وإذا ما تبين فيها شيئًا من الخوف أو الاستسلام، فإنهم يعتبرون ذلك إشارة كي يمضوا قدمًا في مهاجمتها هجومًا خاطفًا(١٦٠).

**٣- أسلوب التنكر والتسلل داخل القوافل:**

من الحيل الشائعة التي استخدمها بعض اللصوص التنكر في أزياء مختلفة، ثم الاندساس داخل القافلة كمرافقين، وبعد قطع مسافة كافية وبلوغ نقطة محددة، يُهاجم عندها هؤلاء المتنكرون القافلة، وقد يُشارك في الهجوم ضمن هذا الأسلوب مجموعة أخرى من اللصوص تابعين للصوص المتنكرين يكونون مختبئين في مكان مُحدد سلفًا.

وعن هذا الأسلوب روى الرَّحّالة بوركهارت كيف خرجت مجموعة لصوص في إثر القافلة وهم يرتدون جميعًا ثيابًا مهلهلة، ومع كل واحد منهم كمية قليلة جدًّا من الدقيق والملح، وقربة ماء صغيرة، وبعد مسيرة ثمانية أيام سيرًا على الأقدام، وعند منطقة محددة أوفدوا ثلاثة من اللصوص إلى مخيم القافلة في منتصف الليل، وهو الوقت الذي يكون فيه معظم المسافرين نيامًا، في حين يتعين على بقية اللصوص انتظارهم على بعد مسافة قريبة من مخيم القافلة(١٦١). ويستطرد بوركهارت فيذكر أنه كان لكل واحد من هؤلاء اللصوص الثلاثة عملٌ محددٌ يقوم به؛ فواحد منهم والذي يُطلق عليه لقب "المستنبح" كان يقف خلف الخيمة التي سيجري سرقتها، وكانت مهمته استرعاء انتباه كلاب الحراسة، وكانت وظيفة اللص الثاني، والذي يُطلق عليه اسم "اللص" قطع الحبال التي تربط أرجل الإبل، وأخذ ناقة من النوق إلى خارج المخيم، وبذلك تتبعها بقية الإبل كالمعتاد، أما اللص الثالث والذي يسمونه "القعيد"، فتركزت مهمته في الوقوف أمام الخيمة ممسكًا بيده عصا طويلة، وذات حجم كبير ليضرب كل من يحاول التقدم نحوه، وبذلك يتمكن اللصوص من الهروب(١٦٢)، وبعد ذلك يحدد رئيس اللصوص ثلاثة أماكن للتجمع انتظارًا للصوص الذين يندفعون للأمام بغرض الهجوم، وكان أول مكان للتجمع على بعد مسافة لا تزيد على مسير نصف ساعة من مخيم القافلة، على أن تكون نقطة التجمع هذه في وادٍ من الوديان أو خلف تل من التلال، وإذا لم يعد اللصوص في الوقت المحدد ينتقل باقي اللصوص مسرعين إلى نقطة التجمع الثانية، وينتظرون فيها يومًا كاملاً أملاً في مجيء أصدقائهم، ومن منطقة التجمع الثانية يتحركون إلى المنطقة الثالثة، ويبقون فيها ثلاثة أو أربعة أيام، فإذا لم يعد أيٌّ من رجالهم بعد انتهاء المدة المحددة فإنهم يقومون بمهاجمة القافلة(١٦٣) .

**٤- السطو الليلي على القرى والقوافل المبيتة:**

اتبع أغلب اللصوص وقطاع الطرق هذا الأسلوب في التلصص والإغارة، مُنتهزين فرصة توقف قوافل الحج أو التجارة للمبيت ليلاً، حيث يستغل اللصوص الظلام وسكون الليل مما يجعل الدفاع عن القافلة أمرًا صعبًا، ويضاعف من تأثير الهلع بين أفرادها خصوصًا إذا كانت القافلة معزولة في مكان وعر، أو لا تملك حامية قوية للدفاع عنها، وكانت هذه الطريقة تتم عن طريق توجيه رئيس اللصوص ما بين ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ من ممتطي الإبل، ويسيرون في الصحراء ما لا يقل عن ٢١ إلى ٢٢ ساعة يوميًّا حتى يُبلغهم أحد العيون بمكان القبيلة بالتحديد، فيهاجمونها كالإعصار قبل الفجر، وفي دقائق معدودة تحدث الفوضى العارمة داخل القبيلة، وتختلط فيها أصوات الرجال الذين يدعون إلى الحرب مع صراخ وعويل النساء والأطفال، ويتم على الفور هدم الخيام، وتجريد الرجال من كل شيء حتى ملابسهم(١٦٤).

**٥- أسلوب الابتزاز مقابل الحماية:**

مارست بعض عصابات اللصوص نوعًا من الابتزاز، حيث كانت تلك العصابات تطلب من القوافل المارة بأرضها بعضًا من المال تحت ما يُسمى بـ "أجرة مرور" مقابل عدم التعرض لهم، وبالتالي كانت هذه العصابات تُقدم نفسها كحامية للطريق، وهي نفسها المعتدية في حال لم تُدفع المبالغ المطلوبة. وحسب أحد الرَّحّالة فإن هذه العصابات كانت تدخل في نقاش مع كبار حُرّاس القافلة أو كبار الجمّالة، وتنتهي تلك المناقشات بعد تهديد ووعيد بإقناع أفراد القافلة بدفع المال المطلوب، وقد عبر أحد الرَّحّالة عن ذلك بقوله: "وبالجملة فركب القوافل لا ضمانة له بالمرة، وهو بين أيدي المقومين (يقصد الحُرّاس والجمّالة)، والمطوفين (يقصد اللصوص) كالطيرة الضعيفة في يد الطفل إن شاء أكرمها، وإن

شاء أهال عليها المصائب والمتاعب من كل جهة؛ لأنهم في هذا الفضاء أرباب الحكومة والقضاء(١٦٥).

كما استخدمت بعض هذه العصابات أسلحة نارية بدائية مثل بنادق البارود، إلى جانب السيوف، والرماح، والخناجر، وقد لجأ بعض قطاع الطرق إلى خلق أجواء من الرعب في صفوف القافلة من خلال إطلاق أعيرة نارية في الهواء(١٦٦)، كما استخدموا أحيانًا الحجارة، حيث كانوا يرمون بها القوافل ليلاً لإخافتهم، وبث الذعر فيهم، ثم الانقضاض عليهم(١٦٧).

**٦- التحالف مع بعض الحراس أو الأدلاء:**

اعتمد اللصوص أيضًا على مسألة تواطؤ بعض الأدلاء والحراس معهم من أجل نهب القوافل في سهولة ويسر. كما استفاد اللصوص من شبكة من المخبرين، سواءً من القرى المجاورة، أو حتى من داخل القرى والمدن لتحديد موعد مرور القوافل، وما تحمله من سلع ثمينة. كما كانوا يستخدمون مرشدين من البدو لخداع القوافل وتوجيهها نحو مناطق الكمائن.

فقد حدثنا الرَّحّالة فراير أثناء رحلته إلى بلاد الحجاز عن قيام بعض اللصوص بعقد اتفاق مع حادي القافلة بحيث يقوم الحادي بربط الجمل الذي يسافر عليه بعض المسافرين النائمين أو الشاردين من الأغنياء، والذين لا يشعرون إلا وقد تخلفوا بعيدًا عن القافلة، ثم ما يلبثون أن يجدوا أنفسهم بين أيدي اللصوص ليلاقوا مصيرهم بالموت نحرًا مثل أية شاة على حسب وصف الرَّحّالة فراير(١٦٨).

كذلك أخبرنا الرَّحّالة نفسه عن تعرض قافلته لسرقة بعض الحمير ليلاً، ليكتشف الرَّحّالة صباحًا أن مجموعة من الحُرّاس البدو الذين كانوا في حراستهم تواطأوا مع اللصوص، وسمحوا لهم بسرقة الحمير، ثم عرض الحُراس على القافلة استعادة تلك الحمير مقابل جنيهين للحمار الواحد، وبعد أن وافق المسافرون انطلق عشرون من البدو مدججين

بالسلاح ليعودوا في غضون ساعتين بالحمير المسروقة مما جعل الرَّحّالة يشك في أن اللصوص كانوا بعضًا من الحُراس الذين كانوا برفقة القافلة(١٦٩).

وعلى هذا النحو السابق يتضح أن أكثر الفئات المتلصصة كانت تسرق لزيادة ثروتها، أو بسبب الفقر والحاجة التي عانى منها بعض هؤلاء الأفراد، أو ربما تحديًا لسلطة الدولة العثمانية، فأغلب هؤلاء اللصوص لم يكن يخضعوا لأية سلطة مركزية خضوعًا تامًّا من منطلق أنهم كانوا يرون أنفسهم أصحاب الأرض الحقيقيين، بالإضافة إلى قوتهم وامتلاكهم لمختلف أنواع الأسلحة والإبل.

وتكشف الأساليب والطرق السابقة عن أن أعمال السلب والنهب لم تكن مجرد نشاط عشوائي، بل كانت– في أحايين كثيرة– عملاً منظمًا تقوم به عصابات مُدربة على استغلال ثغرات الأمن في منطقة بلاد الحجاز مما يعكس خطورة ذلك على المُجتمع الحجازي.

**المحور الثالث: تأثير السلب والنهب على مجتمع بلاد الحجاز في ضوء كتابات الرحالة.**

تركت أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز أثرًا سيئًا على جميع جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية. فبالنسبة للحياة السياسية، فقد أدى السلب والنهب إلى إضعاف هيبة السلطة السياسية المركزية، لاسيما في الفترات التي اتسمت بضعف الحكم المركزي والمحلي لبلاد الحجاز، الأمر الذي أدى إلى انتشار الفوضى، وفقدان أبناء المجتمع الحجازي الثقة في حكومة الدولة العثمانية، وحكم الأشراف أيضًا، وقد عبّر عن ذلك الرَّحّالة الورثلاني وهو في طريق رحلته إلى حاكم مكة: " ما ضيّع الأحكام إلا الأشراف، فإن أمرهم قد قوي عليَّ وعلى غيري "(١٧٠).

وفي ظل تراجع السلطة الرسمية المركزية بدأت الزعامات القبلية تكتسب نفوذًا أكبر، وتضطلع بدور الحماية مقابل الولاء، ومن ثم أصبحت هذه الزعامات القبلية قوة موازية

لسلطة الدولة العثمانية في بعض مناطق بلاد الحجاز، بل وبدأت هذه الزعامات تُشكل خطرًا مباشرًا على سلطة الدولة العثمانية، اضطرت معه الدولة العثمانية إلى الاستعانة بتلك القوى في تأمين قوافل الحج الشامي والمصري، ومن بين تلك القبائل– على سبيل المثال– قبيلة حرب، وقبيلة الرولة، وقد كان للأخيرة دور واضح في الصراع مع إمارة آل رشيد، والذي نتج عنه نجاح شيوخ هذه القبيلة في تأسيس إمارة لهم في الجوف مستغلين ضعف هذه الإمارة، والصراع الداخلي فيها، وتغاضي السلطات العثمانية عن ذلك(١٧١).

كذلك أثر انتشار السلب والنهب على نمط الحكم والتوازنات الداخلية في بلاد الحجاز، فمعه اضطرت الدولة العثمانية إلى إرسال حملات تأديبية، ومنح سلطات واسعة لبعض قادة تلك الحملات مما ساعد بشكل غير مباشر في ازدياد سلطة هؤلاء القادة، وطمعهم في الاستئثار بحكم منطقة بلاد الحجاز، مثلما حدث– على سبيل المثال– مع محمد علي باشا(١٧٢).

كما أدت أعمال السلب والنهب وقطع الطريق إلى إزكاء نار الصراعات بين القبائل العربية وبعضها البعض مما أدى إلى زعزعة الاستقرار السياسي والأمني والإداري في منطقة بلاد الحجاز إلى درجة جعلت القنصل البريطاني سنة **١٢٩٤**هـ/ **١٨٧٧**م ينصح الرَّحّالة جون فراير بعدم السفر إلى بلاد الحجاز بسبب الفوضى السياسية، والفراغ الأمني الذي تعيشه تلك المنطقة بعد انسحاب الحامية التركية منها، واتجاهها إلى الحرب مع أوروبا في ذلك التوقيت(١٧٣).

**أما بالنسبة للحياة الاقتصادية،** ففي ضوء غياب العامل الأهم في معادلة الربح الاقتصادي وهو الأمن، تأثرت الحياة الاقتصادية إلى حد كبير، حيث أدى ذلك إلى عزوف التُجار عن استخدام الطرق البرية قدر الإمكان، وخصوصًا تلك التي تمرّ عبر بلاد الحجاز، والتي تُعد معاقل للصوص وقطاع الطرق، الأمر الذي أضعف التبادل التجاري بين مدن

بلاد الحجاز، وأدى إلى نقص السلع، وارتفاع الأسعار، وركود الأسواق المحلية، وكثيرًا ما ذكرت المصادر قصص شكاوى التجار الذين تعرضوا للنهب والسلب أثناء مرور قوافلهم بطرق بلاد الحجاز، بل أكثر من ذلك شكوى الكثير من سكان بلاد الحجاز الذين تعرضت دورهم للسطو والنهب(١٧٤).

ولما كانت بلاد الحجاز معبرًا رئيسيًّا للحجيج، والتجار، والمسافرين، فقد ساهمت أعمال السلب والنهب في تقويض أمن هذا المعبر الحيوي مما دفع كثيرًا من الحجاج، والتجار إلى البحث عن طُرق بديلة، أو الامتناع عن السفر، الأمر الذي حرم البلاد من عوائد اقتصادية مرتبطة بحركة التجارة والحج(١٧٥).

ولاشك في أن توجيه السلطة المركزية والمحلية لجزء كبير من مواردها في سبيل ضبط الأمن، والقضاء على السلب والنهب جاء على حساب مجالات تنموية أخرى، إذ كان يمكن بهذه الموارد تحسين أحوال سكان منطقة بلاد الحجاز(١٧٦).

ولم تقتصر آثار السلب والنهب على الحياتين السياسية والاقتصادية فحسب، بل تركت بصمات عميقة في البُنية الاجتماعية لبلاد الحجاز، خصوصًا في المراحل التي تراجعت فيها هيبة السلطة المركزية، وعجزت عن السيطرة. وقد أسهمت هذه الظاهرة في إحداث اختلالات جوهرية في النسيج المجتمعي، وغيّرت من طبيعة العلاقة بين الأفراد وبعضهم البعض، وبين أفراد المجتمع، حيث أدت أعمال السلب والنهب بشكل غير مباشر إلى تَغيّر في التركيبة السكانية لبلاد الحجاز بسبب نزوح كثير من العائلات والقبائل من قراها التي تتعرض للسطو إلى أماكن أكثر أمنًا في المُدن الكبرى كالمدينة، ومكة، وجدة... وغيرها(١٧٧).

كذلك لا ننسى أنه في ظل غياب السلطة المركزية ظهر في مجتمع بلاد الحجاز ما يُعرف بـ"الزعماء المحليين" أو "شيوخ العصابات" الذين قدموا أنفسهم أحيانًا على أنهم قُطاع طرق،

وكونوا طبقة اجتماعية نازعت الطبقة الحاكمة سلطاتها مما أدى إلى إضعاف روح القانون، وتعلية نزعة العصبية والقبلية(١٧٨).

وعلى مستوى المِهن والوظائف الاجتماعية صارت أعمال السلب والنهب مهنة مُعترفًا بها بين القبائل، فقد أكّد الرَّحّالة بالجريف على أنه في ضوء الأوضاع الصعبة التي كان يحياها الناس في بلاد الحجاز فقد اتخذ البدوي من السرقة مهنة له(١٧٩).

أما عن تأثير أعمال السلب والنهب على الجانب الديني، فكان من أبرز آثارها تَعطُّل رحلات الحج والزيارة لمكة والمدينة، وحرمان الطبقات الفقيرة من أداء شعائرها المقدسة بسبب غياب الأمن. فحسب أحد الباحثين فإن المذبحة التي راح ضحيتها أعدادٌ كبيرة من الحجاج الشوام سنة **١٢٣٣**هـ/ **١٨١٨**م على يد اللصوص وقطاع الطرق تسببت في قلة أعداد الحجاج في العام التالي، إذ لم يزد عدد الحجاج في عام **١٢٣٤**هـ/ **١٨١٩**م عن خمسمائة حاج شامي فقط لا غير(١٨٠).

بل وصل الأمر بسبب تهديد اللصوص وقطاع الطرق لحياة الحُجاج أن أصبحت الفتاوى تصدر بإسقاط فريضة الحج نظرًا لمخاطر الطريق، وهو ما أورده الرَّحّالة الورثلاني بقوله: "زاد الظلم والتعدي حتى كاد الحج أن يكون ساقطًا بسبب ظلم الولاة وأصحابهم والعرب، وظلم الشيالين الذين زادوا في الارتياش للظلم والشكوى"، وهو ما هدد بتوقف شعيرة دينية تعد من أركان الإسلام الخمس(١٨١).

ولعل من أخطر ما تركته أعمال السلب والنهب من أثر على الحياة الدينية في بلاد الحجاز ظهور جماعات دينية مُتشددة كبعض العناصر الوهابية التي نادت بتكْفير اللص والسارق، ولذلك برروا حمل السلاح تحت ستار "جهاد المُفسِدين في الأرض" ما زاد من تشْديد الخطاب الديني(١٨٢).

**المحور الرابع: آليات التصدي لأعمال السلب والنهب ببلاد الحجاز في ضوء كتابات الرحالة.**

تنوعت القوى السياسية والمحلية التي تصدت بكل قوة لأعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز ما بين السلطة العثمانية، والأشراف، والوهابيين، والدولة السعودية الأولى، بالإضافة إلى القبائل والأفراد، والرَّحّالة، ولجأت كل سُلطة من هذه السُلطات إلى عدد من الطرق والوسائل المختلفة في التصدي لتلك الظاهرة الخطرة.

**١- السلطة العثمانية ومواجهة أعمال السلب والنهب:**

أولت الدولة العثمانية أهمية لمسألة التصدي لأعمال السلب والنهب وقطع الطرق في منطقة بلاد الحجاز بصفة خاصة؛ لما لهذه المنطقة من أهمية دينية وسياسية، فأي اعتداء على الحجاج كان يعتبر ضربة لسمعة الدولة العثمانية وهيبتها. وقد حاول السلاطين العثمانيون التعامل مع هذا التحدي بطرق مختلفة؛ بعضها كان يعتمد على الحلول الدفاعية، وأخرى على التدابير العسكرية، وأحيانًا على التحالفات مع القبائل المحلية.

فلضمان سلامة منطقة بلاد الحجاز اتجهت الدولة العثمانية إلى تشييد أسوار حول المدن لحماية أهلها، وبشكل خاص المدينة المنورة التي كانت عُرضة للسرقة، وكانت أبواب هذه الأسوار تغلق ليلاً، وتُفتح مع بزوغ الفجر(١٨٣). ولحماية الطرق المؤدية إلى الأماكن المقدسة بمكة والمدينة المنورة، أقامت الدولة العثمانية التحصينات والقلاع، والخانات على طول الطرق، لتكون بمثابة مقرات للحاميات الأمنية، ونقاط استراحة للمسافرين(١٨٤)، ونقاط حماية وتزويد بالمؤن وخصوصًا في المناطق التي كانت قوافل الحجاج تمر بها، كمنطقة "الحديدة" على سبيل المثال، والتي كانت عُرضة دائمًا لهجوم قبيلة حرب(١٨٥)، فضلاً عن ذلك ألقت الحكومة العثمانية على عاتق الحكومة المصرية مهمة إرسال تقارير لها عن السلب والنهب في الحجاز بشكل دائم؛ للوقوف على الوضع الأمني بتلك المنطقة(١٨٦).

كذلك حاولت الدولة العثمانية معالجة أعمال السلب والنهب عسكريًّا؛ فكلفت مجموعة من العسكر الأتراك بحماية طريق الحج. وقد اعترف الرَّحّالة فراير بهذا المجهود العسكري، فذكر أثناء رحلته للحج سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦- ١٨٨٧م أن بنادق العسكر الأتراك أمّنت لقافلته الحماية التامة من اللصوص، وجعلته يحظى بنوم هادىء دون إزعاج وهو على مشارف المدينة المنورة(١٨٧).

كما كلّفت الدولة العثمانية شريف مكة باتخاذ إجراءات رادعة(١٨٨) ضد القبائل المُتلصصة، خصوصًا مع عجز بعض مشايخ وزعماء القبائل عن التصدي لأعمال السلب والنهب كما يجب، بل وصل ببعضهم الأمر في حال قبضهم على أحد اللصوص إلى عدم معاقبته أو سجنه، ووصل ببعضهم الآخر حد التعاون مع هؤلاء اللصوص ضد السلطان العثماني نفسه في سرقة المحمل السلطاني(١٨٩).

ومن بين السبل التي اتخذتها الدولة العثمانية أيضًا للحد من أعمال السلب والنهب، تحالفها مع زعماء بعض القبائل الكبرى، وقد لجأت الدولة إلى هذا الخيار بعد أن أدركت صعوبة التصدي للصوص وقطاع الطرق بجيشها فقط؛ لذلك سعت إلى توثيق علاقاتها مع بعض زعماء القبائل من خلال توقيع ما يُشبه العقود الأمنية– غير المكتوبة أحيانًا- والتي تسنِد لهذه القبائل مهام تأمين المدن والطرق الحيوية، كما تُحمّل القبيلة المسئولية عن أي اعتداء يقع في منطقتها، في مقابل منح هؤلاء الزعماء والمشايخ مناصب شرفية، ومرتبات سنوية، ورغم أن هذا الإجراء ساعد الدولة العثمانية في ضبط الأمور الأمنية أحيانًا في بلاد الحجاز وغيرها من بلدان الجزيرة العربية، إلا أنه شجع بعض زعماء القبائل على المطالبة برفع قيمة الرواتب السنوية، الأمر الذي أرهق الدولة العثمانية(١٩٠).

كذلك حاولت الدولة العثمانية معالجة أعمال السلب والنهب سياسيًّا من خلال دفع الإتاوات للأعراب الذين يمتهن كثير من أبنائهم السلب والنهب. فحسب أحد الباحثين

اضطرت الدولة العثمانية إلى رفع حجم الإتاوات التي كانت تدفعها لهؤلاء الأعراب لدفع شرهم، كما حاولت توطين البدو في المناطق الصالحة للزراعة والرعي وصيد السمك؛ لتشجيعهم على امتهان هذه المهن الشريفة بدلًا من ممارسة السلب والنهب(١٩١).

أما بالنسبة لقوافل الحج وحماية الحجاج، والتي تُعد من أهم مهام السلطان العثماني باعتباره "حامي الحرمين الشريفين"، فقد حاولت الدولة العثمانية توفير الأمن لها من خلال إصدار فرمان بتعيين "أمير الحج" كأحد أبرز الإجراءات الأمنية العثمانية، وهو عبارة عن موظف عسكري رفيع يُعيَّن من قبل الباب العالي أو والي الشام مهمته حماية قوافل الحج من خلال خروجه على رأس قوة عسكرية لتأمين ركب الحجاج من مخاطر الطريق، وعلى رأسها خطر أعمال السلب والنهب(١٩٢).

ولأهمية تلك القوة العسكرية في حفظ وحماية قوافل الحجاج فقد زِيد في عددها حتى بلغت نحو ألف جندي، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع هذا العدد الكبير التصدي لهجمات اللصوص العنيفة التي كانت تستهدف الأفراد من الحجاج الذين يبتعدون عن القافلة؛ لذلك صدرت الأوامر العثمانية لأمير الحج بوضع القافلة بأكملها في منتصف رجال الحامية العسكرية(١٩٣).

وتجدر الإشارة إلى أن الدولة العثمانية كانت تُشدد على عدم نشر أية أخبار عن سرقات الحجاج خشية أن تتكون صورة حرجة عن الحج في أوروبا، وحفاظًا على لقب السلطان العثماني باعتباره "حامي الحجيج إلى مكة"، وهو لقب يدل على التزاماته السياسية والدينية الأكثر أهمية ومسئولية(١٩٤).

بالإضافة إلى ما سبق، عملت السلطة العثمانية على سن قوانين رادعة نصّت على عقوبات رادعة ضد كل من يُدان بالسلب والنهب وقطع الطريق وصلت إلى حد الإعدام كما سيأتي شرحه لاحقًا.

**٢- الأشراف ومواجهة أعمال السلب والنهب:**

بِحُكم تمتع الأشراف في بلاد الحجاز لعدة قرون بحكم ذاتي نسبي من خلال تبعيتهم للدولة العثمانية، كان لابد أن يكون لهم دور في التصدي لأعمال السلب والنهب، وقد تجلى هذا الدور من خلال الدفع بحملات عسكرية تأديبية لتأمين منطقة بلاد الحجاز، ومن ذلك تلك الحملة العسكرية التي دفعوا بها في أواخر القرن السابع عشر لمعاقبة لصوص الطرق في الطائف، حيث قضت على خطرهم نسبيًّا، وأخذوا منهم بعض الغنائم التي كانوا قد استولوا عليها، كما قام الأشراف بحملة أخرى في أواخر القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر الميلادي قادها الشريف سعد متخفيًا عندما سرقت مجموعة من اللصوص قافلة حجاج كانت في طريقها إلى مكة، وطبق عليهم أشد العقوبات، وقد تواصلت تلك الحملات طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وكانت تجرى أحيانًا بالتنسيق مع السلطات العثمانية(١٩٥)، ومن ذلك ما أشار إليه رحالة القرن التاسع عشر من وجود عساكر للشريف غير نظامية بجانب الجنود العثمانيين، كانت مهمتهم مراقبة الطرق المؤدية إلى المدن المقدسة، والضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطرق(١٩٦).

ومن خلال وثيقة مؤرخة بـ ربيع أول سنة **١٢٧٢**هـ/ نوفمبر**١٨٥٥**م في صورة رسالة بعث بها أحد المشايخ إلى شريف جدة وأقطار الحجاز، يتعهد فيها ببذل الجهد من أجل الحفاظ على أمن الطُّرق، ومحاولة وضع حد لخطر قبيلة حرب التي دأبت على السطو والنهب(١٩٧).

كذلك اتبع الأشراف أيضًا نظام العسس (المراقبة) في التصدي لتلك الظاهرة، حيث كانوا يخرجون متخفين، وكانوا يقضون أكثر لياليهم يجوبون الحارات والأزقة بحثًا عن اللصوص، وكانوا يتعاملون مع هؤلاء اللصوص بقسوة وصلت إلى حد هدم منازلهم،

مثلما حدث مع اللصوص المُقيمة بين مكة والمدينة الذين دأبوا على سرقة الحجاج بصفة دائمة(١٩٨).

كذلك عمد الأشراف– في بعض الأحيان– إلى الاعتماد على ما يمكن تسميته بسياسة "الاحتواء" من خلال استرضاء بعض هؤلاء اللصوص، ومحاولة توظيفهم مثلما حدث مع بعض الشيّالين والجمّالين بمكة والمدينة الذين كانوا يسرقون الحجيج، حيث منحهم الأشراف رواتب مُجزية مقابل امتناعهم عن السطو والسرقة(١٩٩). كما اعتمدوا على عقد تحالفات مع القبائل البدوية مقابل منحهم رواتب مالية سنوية، أو تسهيلات تجارية، وكانت هذه السياسة تؤدي إلى هدوء مؤقت، لكنها لم تستأصل الجريمة بشكل دائم.

**٣– الدولة السعودية الأولى وأعمال السلب والنهب:**

مع ظهور الدعوة السلفية في نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما تبعها من قيام الدولة السعودية الأولى، حملت الحركة الإصلاحية الناشئة مشروعًا دينيًّا إصلاحيًّا صارمًا شمل إعادة ضبط الأمن عبر منهج "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وكان موقفهم من أعمال السلب والنهب أكثر حزمًا مقارنة بموقف الدولة العثمانية والأشراف(٢٠٠).

فقد شدّد الوهابيون على تطبيق حد الحرابة والسرقة، وعدّوا تعطيل تلك الحدود سببًا في تفشي الفساد، ومن ثم جردوا حملات ضد اللصوص وقطاع الطرق في بلاد نجد والحجاز(٢٠١)، ومن ذلك تلك الحملة الناجحة التي شنها أحمد السديري النجدي لكسر شوكة لصوص قبيلتيّ المناصير وبني ياس(٢٠٢). كما نجح طلال بن الرشيد في مواجهة لصوص جبال شومر، وتمكن من إضعاف قوتهم، ونجح في وقف عمليات السلب والنهب داخل مملكته، وامتد الأمان حتى شمل وادي السرحان(٢٠٣) من الناحية الجنوبية والشرقية(٢٠٤).

بالطريقة ذاتها قضى محمد بن الرشيد على أعمال السلب والنهب بكل حزم وشدة مع قطاع الطرق واللصوص، واستأصل شأفتهم في أماكن إقامتهم على بعد مسافة ثلاثمائة ميل من حائل، وفي شمال نجد أيضًا، وتحديدًا في المنطقة الواقعة من الجوف إلى القصيم، لدرجة جعلت الناس يقولون:" إنه بوسع المرء السفر من الجوف إلى القصيم بلا حرس مرافق"، وهو ما يعني أن الطرق باتت آمنة في كل مكان، وباتوا يرددون:" أنهم لم يسمعوا مطلقًا عن وقوع حادث سرقة، أو سلب، أو نهب منذ عدة سنوات، في حين كان الناس موقنين بأنه يجري قطع رؤوس اللصوص والمجرمين على الطرق القريبة، وأصبحت لدى المسافر القدرة على التنقل في أمن وسلام في أي جزء من الصحراء، وهو يحمل معه ذهبه كله دون أن يصادفه لص؛ فلم يعد لهؤلاء اللصوص وجود في المدن(٢٠٥). وقد أعجب أحد الرَّحّالة بدور الوهابيين في حماية قافلتهم بتصديهم لمائة وخمسين لصًّا من قبلية عتيبة، وأقر بأنه لولا حماية الوهابيين لوقعت القافلة كلها ضحية في يد اللصوص(٢٠٦).

وبالإضافة إلى الطرق العسكرية المُتبعة في مواجهة اللصوص، اتبع الوهابيون أسلوبًا آخر مبنيًّا على فرض رسوم مُحددة على قوافل الحج، وبخاصة القادمة من إيران مقابل حمايتها من اللصوص، والراجح أن هذه الرسوم كانت تُنفق على الحملات العسكرية التي كانت مهمتها حفظ الأمن في بلاد الحجاز وطرقها ومسالكها، ومن ذلك تلك الرسوم التي فرضها طلال بن الرشيد على قوافل الحج الإيرانية، والتي قُدرت بأربعين ثمانًا ذهبيًّا على كل حاج إيراني نظير مروره عبر نجد، وأربعين ثمانًا أخرى لضمان سلامته داخل بلاد الحجاز، وبذلك تكون الرسوم الإجمالية عن الحاج الواحد حوالي ثمانين ثمانًا، وبلغ إجمالي الرسوم الرسمية والضرورية على كل حاج من الحجاج الشيعيين الإيرانيين طوال فترة عبوره وسط الحجاز، وتحت إرشاد وحماية وهابية حوالي مائة وخمسين ثمانًا ذهبيًّا، وهو ما يعادل ستين جنيهًا إسترلينيًّا، وهذه بحد ذاتها نفقات باهظة بالنسبة للحاج الإيراني، ولم يتوقف دور ابن الرشيد

عند ذلك؛ فقد كان يزود الحجاج بمرشد من بين رجاله، ليرشد الحجاج، وقد نجحت تلك الإجراءات في الحد من جرائم السرقة التي كانت تتعرض لها قوافل الحج الإيرانية على سبيل المثال(٢٠٧).

من جانب آخر سعى الوهابيون إلى تحويل بعض اللصوص ممن يمتهنون السلب والنهب إلى العمل بأعمال شريفة، فعلى سبيل المثال نجح الوهابيون في إجبار قبائل الشرارات على التوقف عن السرقة، والعمل بصناعات الصوف والزبد الذي كانت تمدهم به، وأصبحت تلك القبائل تصدر تلك المنتجات إلى الجوف، وفلسطين، وتيماء، ويستوردون في مقابل ذلك تمورًا وأقمشة وبعض الحاجيات الضرورية التي لم تكن تتوافر لديهم(٢٠٨).

وبالتنسيق مع ملوك وأمراء الدولة السعودية الأولى نجح الوهابيون في كسر شوكة اللصوص من البدو في العجمان، والعتبان، وبنو خالد، والعشائر البدوية الأخرى الذين كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب، وبفضل جهود الوهابية والدولة السعودية الأولى تم تأمين بلاد الحجاز حتى أن عابر السبيل أو المسافر لم يكن يصادف سوى قلة قليلة من اللصوص، والتي أضحت لا تخيفهم، وأصبح الحجاج والتجار والفلاحون طوال الفترة التي حكمت فيها الدولة السعودية الأولى والوهابيون في مأمن من أعمال السلب والنهب، كذلك لم تعد أية قرية تجرؤ على سلب بساتين أية قرية من القرى المجاورة لها(٢٠٩).

لكن هذا ليس معناه القضاء التام على أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز، فبالرغم من نجاح الوهابيين في إخضاع كثير من القبائل السابق ذكرها، والتي كانت تمتهن السلب والنهب، فإنهم فشلوا في القضاء على بعض اللصوص، ونذكر منهم- على سبيل المثال- لصوص وادي فاروق وآل مُرة؛ فقد ظلت قبائل آل مُرة تحتفظ بعصابات اللصوص بها، وتخطى الأمر إلى درجة احتفاظ القبائل المجاورة بتلك العصابات، وبعصاباتها الخاصة أيضًا(٢١٠).

وبمقارنة دور الدولة العثمانية والأشراف والوهابيين في مواجهة كل منهم للِّصُوصِيَّة يتضح لنا وجه التشابه والاختلاف بينهم؛ فبالرغم من اشتراك الدولة العثمانية والأشراف والوهابيين في مواجهة خطر السلب والنهب، فإن ردود فعل كل منهم اختلفت اختلافًا جذريًّا؛ ففي الوقت الذي فضّلت فيه الدولة العثمانية والأشراف الحلول السلمية، والتحالفات القبلية، تبنّى الوهابيون وأمراء الدولة السعودية الأولى سياسة شرعية حازمة تُدين الجريمة، وتُنزل بالمجرمين عقوبات رادعة. وقد انعكس هذا التباين في مدى فاعلية كل تجربة، إذ نجح النظام الوهابي في تحقيق درجة أعلى من الانضباط الأمني في المدى القصير والمتوسط، لاسيما في نجد، بينما ظل الأمن في الحجاز مرهونًا بقوة السلطة العثمانية المركزية، وتقلبات الولاء القبلي في عهد الأشراف.

**٤- زعماء القبائل ومواجهة أعمال السلب والنهب:**

في منطقة كبلاد الحجاز يغلب عليها الطابع القبلي كانت القبيلة هي السلطة العُليا فيها، وكان زعيم القبيلة أو شيخها يتولى مسئولية حماية ممتلكات القبيلة بأكملها، والدفاع عنها ضد اللصوص وقطاع الطرق. ولمواجهة أعمال السلب والنهب اتبع زعماء القبائل العربية في بلاد الحجاز مجموعة من الأساليب والتقاليد التي كانت فعّالة في الحد من السلب والنهب، ومن تلك الأساليب اللجوء إلى عقد التحالفات القبلية، حيث دأبت بعض القبائل على عقد تحالفات مع قبائل أخرى أكثر قوة لتأمين طرق التجارة، وردع اللصوص مما يوفر شبكة حماية أوسع، فنجد على سبيل المثال، عقد قبيلة عرب رنية[٢١١] اتفاقًا مع قبائل العقيق المُجاورة لهم وقت موسم نضوج التمر بهدف حماية المحصول من خطر اللصوص[٢١٢]. ومن بين الطرق المُتبعة أيضًا تنظيم بعض القبائل لدوريات حراسة لطرق القوافل، أو حدود القبيلة، وتُعرف هذه المُهمة بـ"الخفارة"، وعلى الرغم من أنه كان يقوم بها رجالٌ شُجعان، فإن الرَّحّالة الفرنسي تاميزيه[٢١٣] نقل لنا تكليف بعض النساء بتلك المهمة الخطرة، إذ ذكر الاستعانة بالنساء لحماية

القبيلة من اللصوص الذين كانوا يسطون عليها بهدف سرقة التمر؛ فعندما نزل تاميزيه ضيفًا على تلك القبيلة في ١٢٥٠هـ/ ٢٩ يوليو ١٨٣٤م، ولازمهم فترة، لاحظ أن النساء كن يلزمن بيوتهن، ولا يخرجن ليلاً ولا نهارًا خوفًا من سرقات اللصوص، فإذا تسلل أحد اللصوص لسرقة التمر من أعالي النخيل صاحت عليه النسوة القائمات بحراسة النخل بصوت عال؛ فيستيقظ كل من في معسكر القبيلة من الرجال للتصدي للصوص(٢١٤).

**٥- قوافل الحج وأعمال السلب والنهب:**

أما قوافل الحج فكانت تتفادى خطر اللصوص وقطاع الطرق من خلال اللجوء إلى وسائل تكتيكية وخداعية، كالتبكير مثلاً في الوصول إلى الأماكن المقدسة قبل موعد بدء المشاعر المقدسة، فلإفلات قوافل الحجاج من سرقات اللصوص وقطاع الطرق لجأت قافلتا الحج السورية والمصرية عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م إلى الوصول إلى جبل عرفات قبل يوم عرفة بيوم أو أكثر، كما حرصت القافلتان على المرور بمنطقة بدر بفاصل يوم واحد عن اليوم المحدد للوصول، كذلك لجأت القافلتان إلى تغيير الطرق التقليدية لتفادي مناطق الخطر؛ فقدمت القافلة السورية من المدينة المنورة، في حين قدمت القافلة المصرية من ينبع النخل، وسلكتا طريقهما من بدر إلى مكة بفارق مسافة قصيرة فيما بينهما(٢١٥).

ومن بين الطرق لتفادي مخاطر اللصوص أيضًا، اضطرار بعض قوافل الحج إلى دفع رشوة مالية إلى القبيلة التي تمر بأراضيها لكي تضمن سلامتها، وكانت هذه الرشوة يتم تحديد قيمتها من خلال اجتماع رؤساء القبائل، وخازن والي دمشق، ويفيد بوركهارت بأن بعض القبائل لم تكن تتلقى رشاوى مالية، بل كان يتم استبدالها برشاوى عينية في صورة غِلال(٢١٦).

كذلك أشار الرَّحّالة جوزيف بيتس إلى استخدام بعض المسافرين للسلاح في تخويف اللصوص وإرهابهم عن طريق إطلاق البارود عليهم(٢١٧)، ويؤكد الورثلاني على استخدم

السلاح فيقول:" ولما انفصلنا وانحدرنا إلى ساحل البحر اشتغل الناس بالغداء، فلما فرغوا منه أخرجوا أسلحتهم وما معهم من البارود إرهابًا للصوص "(٢١٨).

ومن المُتصوَّر أيضًا أن تكون تلك القوافل قد لجأت إلى طرق أخرى كنشر شائعات كاذبة عن موعد الانطلاق، أو الطريق الذي ستسلكه، والتوقف للمبيت في أماكن مأمونة تحميها حواجز طبيعية، وتعيين طاقم حراسة للقافلة، والاعتماد على العيون والجواسيس في رصد مخاطر الطريق إلى آخره من الإجراءات التي تكفل حماية القافلة من الوقوع في أيدي اللصوص. ولعل ما ينهض دليلاً على ذلك ما أشار إليه أحد الرَّحّالة من أنهم اضطروا في رحلتهم إلى مكة إلى استئجار ثلاثة من العربان "ليرشدونا إلى الطريق، ويعرفونا منازل اللصوص" مقابل عشرة جنيهات، وبفضلهم نجت القافلة من مخاطر أعمال السلب والنهب(٢١٩). كذلك تحدث الرَّحّالة جوزيف بيتس عن استعانة قافلته بأدلاء وحُرّاس من جدة، والقافلة في طريقها إلى مكة(٢٢٠).

ومن بين الطرق التي اتبعتها القوافل أيضًا اعتمادها على طاقم حراسة للقافلة من بين العرب الذين لديهم دراية بالطرق ومخاطرها، ومن ذلك ما رواه لنا الرَّحّالة "فراير" أثناء رحلة حجه مع القافلة سنة **١٢٩٥**هـ/ **١٨٧٨**م، حيث ذكر أنهم استعانوا بطاقم حراسة على رأسه شخص يُدعى "شيخ البؤسِن "(٢٢١)، كان يتولى حماية القافلة مقابل عدة دولارات يُسدد نصفها سلفًا قبل المغادرة(٢٢٢). كذلك أشار الرَّحّالة إلى أنه عند حلول الغروب، ونصب الخيام للمبيت، يتم توزيع طاقم الحراسة الليلي على المُخيم، وعند سماع أي صوت يدل على قدوم اللصوص يقوم الحراس بإطلاق طلقات من البارود في كل الاتجاهات تخويفًا للصوص، ويستطرد الرَّحّالة فيحكي كيف قام بنفسه بالتطوع والانضمام إلى الحرس الليلي حاملاً سيفًا، وكيف أنه تعرض لهجوم لصَّين عليه ليلاً، لكنه تمكن من توجيه ضربة للأول في وجهه أدت إلى سقوط خنجره، وفراره، بينما تمكن من أسر اللص الثاني، وتقديمه إلى رئيس

الحراس "الشيخ البؤسن"، ليكتشفوا في الصباح أن اللص المأسور ما هو إلا أحد سائقي جمال القافلة(٢٢٣).

كذلك أشار أحد الرَّحّالة إلى اعتمادهم في سفرهم من المدينة إلى مكة على خمسين فارسًا مدججين بالسلاح، وبفضل هؤلاء الفرسان نجت القافلة من كمين نصبه لهم اللصوص(٢٢٤).

**٦- الرَّحّالة ومواجهة أعمال السلب والنهب:**

لسنا في حاجة إلى القول بأن الرَّحّالة الأجانب من مُستكشفين، أو جواسيس، أو تجار، أو مبشرين، أو علماء، كانوا من بين أكثر الفئات عُرضة لخطر سطو اللصوص، باعتبارهم غرباء عن المنطقة، ويمتلكون الأموال، ولا يجيد أكثرهم العربية، فضلاً عن اختلاف ديانتهم عن ديانة سكان بلاد الحجاز، الأمر الذي جعلهم أيضًا أكثر الفئات ابتكارًا لوسائل متعددة للدفاع عن أنفسهم ضد خطر السلب والنهب، وفي ضوء ذلك قدموا نصائح لا تخلو من أهمية.

ومن أبرز الأدوار التي قام بها الرَّحّالة في التصدي لخطر السلب والنهب هو توثيقهم لحوادثها من خلال كتاباتهم؛ فرصدوا المناطق الخطرة التي تعج باللصوص في بلاد الحجاز، وأساليب هؤلاء اللصوص، كما قدموا نصائح عملية لتجنبهم، وبذلك ساعدوا من خلال كتاباتهم على رسم صورة واقعية لحالة الأمن في المناطق التي زاروها، ولاحقًا أصبحت هذه الشهادات مصادر مهمة للحكومات الأوروبية التي ترسم سياساتها الخارجية والتجارية.

ومن خلال ذلك ابتكر الرَّحّالة عددًا من الوسائل للإفلات من اللصوص؛ فوفق ما رواه لنا الرَّحّالة بالجريف فإنهم كانوا يستعينون أثناء رحلتهم إلى بلاد الحجاز بمسئولين تتلخص مهمتهم في السير قبل القافلة لتحسس الأخبار عن اللصوص، فإذا ما صادفوا

لصوصًا أبلغوا القافلة لتغير طريقها، كما راح بالجريف ينصح الرَّحّالة بأن يدَّعوا أنهم حاملون لرسائل مهمة من أصحاب السلطان والحكم، وأن على الرَّحّالة أن يحمل قطعة من الورق مختومة، وتحمل عنوان هذا الحاكم، ولا يهم ما يكتب في هذه الأوراق اعتمادًا على أن أكثر البدو أميون لا يجيدون القراءة، وحسب بالجريف لا يوجد من بين كل خمسين ألف بدوي واحدٌ يقرأ ويكتب، وحسب بالجريف فإن هذه الطريقة آتت ثمارها؛ فمن خلالها استطاع الرَّحّالة عبور طرق بلاد الحجاز دون أن يمسهم أذى اللصوص(٢٢٥).

وللإفلات أيضًا من خطر السلب والنهب قدم الرَّحّالة بالجريف نصيحة ذكية لمن يسافرون عبر طرق بلاد الحجاز؛ فذكر أنه من الأفضل دفع أجر المرشدين البدو مقدمًا بدل تأجيله، وبهذه الطريقة يضمن المسافر ولاءهم وإخلاصهم في الدفاع عنهم، وعدم تسليمهم للصوص، كما نصح بالجريف المسافرين بعدم إظهار الثراء أو التبذير أمام البدو؛ إذ إن ظهور المُسافر بمظهر الأوروبي الثري سيزيد قطعًا من طمع البدو فيه، كذلك من الحكمة حسب بالجريف إظهار الرَّحّالة والمسافرين أنهم في أشد الحاجة إلى كرم البدوي ومساعدته(٢٢٦).

ومن الوسائل أيضًا لجوء الرَّحّالة- في بعض الأحيان- إلى الاستعانة ببعض القبائل القوية لحمايتهم من اللصوص من خلال سفر الرَّحّالة ضمن قوافل جماعية تضم حراسًا محليين أو جنودًا مأجورين، وهو ما ساهم في تقليل فرص استهدافهم من قبل قطاع الطرق، مثلما حدث مع القافلة التي كان الرَّحّالة فراير بصحبتها، والتي خرجت في حماية مجموعة من الحرّاس المأجورين، بل وصل الحال أحيانًا إلى درجة أن الرَّحّالة نفسه كان يحمل بندقيته معه للدفاع عن نفسه ضد اللصوص حسب ما رواه الرَّحّالة فراير نفسه، والذي كان يحمل بندقية مزدوجة، والعديد من طلقات البارود مكنته من الدفاع عن نفسه، وعن القافلة في أكثر من مرة(٢٢٧).

كذلك درجت قوافل الرَّحّالة على اتباع أسلوب تخوِيف اللصوص من خلال الادعاء أحيانًا بأنهم يتبعون قبيلة كبرى لا طاقة للصوص بها، حيث يقص علينا الرَّحّالة بوركهارت حادثة توضح ذلك مفادها أنه أثناء رحلته مع القافلة من مكة إلى المدينة في يناير ١٨١٥م/ ١٢٣٠هـ، وبعد عبورهم وادي فاطمة بقليل جلس بوركهارت ليستريح، فهاجمه خمسة من اللصوص، وخطفوا عصاه سلاحه الوحيد، وبدلًا من أن يقاومهم نصحهم برد ممتلكاته، وحذرهم من مغبة عقاب قبيلة حرب، إذ ليس من اللياقة تحمل النتائج المترتبة على سرقة حاج من الحجاج يتبع قبيلة حرب(٢٢٨).

وحسب ما رواه بعض الرَّحّالة أيضًا أنه ساد آنذاك اعتقاد بأن التجهم والصمت مع نظرات حادة بين الحين والآخر كفيلة بإخافة اللصوص، وجعْلهم يتراجعون، وهذه الطريقة ربما تكون أشبه بطريقة تعامل الإنسان مع أحد الكلاب الضالة، فالرَّحّالة الذين زاروا منطقة بلاد الحجاز لاحظوا هذه الطريقة، وأخذوا في تطبيقها، وأشهر من استخدمها كان الرَّحّالة بالجريف خلال رحلاته، إذ ذكر أنه كان يلتزم بهذا الأسلوب الغريب حين تقترب قافلته من مناطق خطرة، فكان الجميع يلتزمون بالصمت، وحسب بالجريف كانت تلك الطريقة تحقق نجاحًا نسبيًّا، حيث كان اللصوص يشعرون بالخجل والارتباك، ثم ينسحبون. كما قص بالجريف أنه استخدم تلك الطريقة حينما حاول أحد زعماء اللصوص التحدث معه طالبًا استشارة طبية، فتعامل معه ببعض البرود، فما كان من اللص إلا أن قدم اعتذارًا عن تصرفات رجاله، مؤكدًا لبالجريف أنه ورجاله لا يحملون أية نوايا سيئة ضدهم، وأنهم جميعًا إخوة، وفي خدمتهم!(٢٢٩).

أما على مستوى الأفراد من ساكني بلاد الحجاز، فقد لاحظ الرَّحّالة أن معظمهم كان يتبع طريقة واحدة في بناء المنازل، إذ كانوا عادة يلجأون إلى بناء منازلهم على شكل طابقين؛ حيث يُخصَّص الطابق الأول للحيوانات، والطابق الثاني لحفظ الأمتعة الثمينة لإخفائها من

اعتداءات اللصوص(٢٣٠)، وبلا شك فإن إخفاء الأمتعة الثمينة في الطابق الثاني يجعل الوصول إليها أصعب على اللصوص والمتسللين خصوصًا في الليل.

وارتبطت آليات للتصدي لأعمال السلب النهب في بلاد الحجاز أيضاً بفرض عقوبات على ممارسيها. وقد تعددت تلك العقوبات وتنوعت بين عقوبات شرعية، وأخرى قبلية عُرفية، وثالثة سياسية وإدارية، أمّا العقوبات الشرعية فقد نص عليها القرآن الكريم استنادًا إلى ما ورد في قول الله تعالى في سورة المائدة: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"(٢٣١). ووفقًا للآيتين الكريمتين قسّم الفقهاء قُطّاع الطُّرق إلى خمس فئات حسب العقوبة؛ الفئة الأولى: من قَتلوا وأخذوا المال، فيجب قتلهم وصلبهم، والفئة الثانية: من قَتلوا ولم يأخذوا المال، فوجب قتلهم دون الصلب، والفئة الثالثة: من أخذوا المال ولم يَقتلوا، يعاقب كل منهم بقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، والفئة الرابعة، من لم يقتلوا، ولم يأخذوا المال، ولكن أخافوا السبيل، فيكتفي الشرع بنفيهم من الأرض، والفئة الخامسة: من لم تتمكن السلطة الحاكمة من القبض عليهم لتوقيع العقاب الرادع بهم، وسلّموا أنفسهم طوعًا، وأعلنوا توبتهم، وندموا على ما فعلوا، فيمكن للشارع إصدار العفو عنهم إذا لم تكن في رقابهم حقوق لآخرين(٢٣٢).

وحسب روايات الرَّحّالة فقد طُبقت العقوبات الشرعية السابق ذكرها على بعض اللصوص وقطاع الطرق الذين تم القبض عليهم ببلاد الحجاز؛ فيحدثنا الرَّحّالة الورثلاني عن بعض اللصوص وقطاع الطرق الذين يتم الإمساك بهم، وتطبيق عقوبة قطع أيديهم(٢٣٣)، كما يحدثنا الرَّحّالة الناصري عن قيام أمير الحج المصري بقطع رؤوس بعض اللصوص الذين تعرضوا للحجاج، وتم رفع تلك الرؤوس على الرماح كنوع من التشهير والصلب(٢٣٤).

ومن العقوبات التي شهدتها بلاد الحجاز أيضًا العقوبات القبلية، والتي استندت أساسًا على العُرف المُتبع داخل القبيلة؛ ففي ظل النظام القبلي تمتع مشايخ القبائل في مجتمعاتهم القبلية بمكانة اجتماعية مرموقة، خوّلتهم سلطة القضاء، وحل نزاعات أفراد القبيلة وفق الأعراف التقليدية داخل القبيلة. كذلك كان الأمراء وحكام بلاد الحجاز يعهدون أحيانًا إلى شيخ القبيلة في البت في قضايا السرقة وقطع الطريق التي يُتهم فيها أحد أفراد قبيلته، وفي حال التقاعس يُهدد الشيخ وقبيلته بحرمانهم من المراعي الخصبة التي تُوزع عليهم حسب ما ذكره الرَّحّالة يوليوس أوتينج(٢٣٥).

وقد شملت العقوبات القبلية الطرد من القبيلة، أو إلزام اللص وقاطع الطريق بدفع الديَة أو الغرامة، أو توقيع القصاص القبلي على المُدان. ووفقًا للرحالة "بلنت" كان يمكن للص الحجاز دفع خمسة نياق تُسَّلم كديَة أو غرامة للشخص الذي سلبه ونهبه(٢٣٦). كما أشار الرَّحّالة نفسه إلى أن بعض مشايخ القبائل ببلاد الحجاز كانوا يتغاضون عن عقوبة قتل اللص وقاطع الطريق في حالة ما إذا كان هذا اللص من أسرة ثرية شريفة، ويكتفون بإلزامه بدفع فدية تشمل كل ثروته من الخيول، والإبل، والغنم، والخيام، والمؤن(٢٣٧). كذلك أكّد الرَّحّالة بوركهارت على نفس ما ذكره بلنت مؤكدًا على لجوء بعض اللصوص إلى التوصل لاتفاق حول دفع فدية معينة يتعهد بدفعها، أو تتعهد قبيلته بها(٢٣٨).

وتُثار هنا نقطة مهمة تتعلق بتدخل بعض مشايخ القبائل في حل نزاعاتهم بطرق عرفية قد تتعارض أحيانًا مع أحكام الشريعة؛ فمن خلال ما ذكره الرَّحّالة بلنت نفهم أن بعض مشايخ القبائل قاموا بتعطيل بعض الحدود الشرعية، وذلك باستبدال حد القتل بالدّية خصوصًا إذا كان اللص وقاطع الطريق من أسرة شريفة ثرية. والواقع أن الفقهاء في الإسلام اتفقوا على أن الحدود لا تسقط بالعُرف أو الصلح القبلي؛ لأنها قد تفتح بابًا واسعًا للفساد. وفي الحديث الشريف "إنَّما هلك الَّذين من قبلكم أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشَّريفُ تركوه،

وإذا سرق فيهم الضَّعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وأيمُ اللهِ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعتُ يدَها(٢٣٩). كذلك أجمع الفقهاء على أن الحدود لا تُعطَّل برضا الطرفين لأنها حق لله تعالى، ولا يجوز تقديم الأعراف على النصوص الشرعية(٢٤٠).

ومن العقوبات التي شهدتها بلاد الحجاز أيضًا العقوبات السياسية والإدارية، والتي كانت تُصدرها الدولة العثمانية، وشملت الإعدام، أو الحبس. فوفقًا للرحالة الورثلاني فإن السلطات العثمانية قامت بإعدام بعض قطاع الطرق واللصوص على خازوق(٢٤١). كذلك تحدث الرَّحّالة فراير عن أنه في موسم حج سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م وبالقرب من منى تمكن من أسر أحد اللصوص ليلاً، وفي الصباح اكتشفوا أن اللص هو أحد سائقي جمال القافلة، فتم تسليمه إلى قائد حرس القافلة، والذي قام بإصدار حكم الإعدام عليه رميًا بالرصاص(٢٤٢).

ولكن على الرغم من تعدد العقوبات الصارمة سابقة الذكر إلا أنها لم تردع اللصوص وقطاع الطرق عن ارتكاب جرائمهم، فكثيرًا ما حاول اللصوص الإفلات من العقوبة مُستغلين في ذلك بعض الأعراف القبلية، والتي سنذكر جانبًا منها حسب ما وردت عند الرَّحّالة الأجانب، والتي لم يخل بعضها من الطُّرفة.

ومن بين تلك الطرق ما عُرف في النظام القبلي بـ "الدخالة أو الحماية" لتسهيل هروب اللص المُحتَجَز؛ حيث يقوم أحد أقارب اللص، وغالبًا ما تكون أمه أو أخته بطلب الحماية من أحد الأعراب بقولها له: "تراني بالله ويحك هذا دخيلك"، أي انظر إليَّ وبمقدار حبك لله وحبك لنفسك سيكون هذا المُحتَجَز تحت حمايتك، فما أن يسمع العربي استغاثتها وطلبها الحماية حتى يقوم بتهريب اللص من محبسه، وبالتالي يفلت من العقوبة المنتظرة(٢٤٣).

ومن بين طرق تهريب اللص أيضًا أنه أثناء نقله من محبسه إلى محبس آخر، أو إلى جهة التحقيق معه، يقوم البدوي الذي يحمله على ناقته بتسليمه إلى بدوي آخر، فيطلب اللص من

البدوي الجديد الدخول في جواره وحمايته بقوله: "أنا دخيلك". فيهب البدوي لنجدته، وإطلاق سراحه(٢٤٤).

كذلك تحدث الرَّحّالة عن طريقة أخرى لإفلات اللصوص تتلخص في أن اللصوص حينما يُدركون أثناء قيامهم بالسرقة وكَشْف أمرهم، أو يُدرِكون أن النهار قد أوشك على الطلوع، وأن ذلك يمكن أن يعرضهم للخطر، أو أن واحدًا منهم قد أصيب ولا يستطيع مواصلة القيام بالمهمة، في مثل هذه الحالة يدخلون أية خيمة من الخيام، فيوقظون أهلها ويقولون:" نحن حرامية ونريد أن نتحول"، وهنا يرد أهل الخيمة قائلين: "سلمتم"، ويقوم أهل الخيمة على الفور بإشعال النار، وصنع القهوة، وتقديم الفطور للغرباء الذين يجري الاحتفال بهم طوال إقامتهم مهما طالت، وإذا تصادف أن التقى هؤلاء اللصوص أثناء عودتهم بجماعة معادية من القبيلة التي سبق أن خططوا لسرقتها، فإن مجرد نطقهم بالعبارة التي تقول " نحن مالِحين"، والتي تعني أننا أكلنا عيشًا وملحًا في الخيمة الفلانية" تصبح هذه العبارة جواز سفر يضمن لهم رحلة آمنة، وفي كل الأحوال تكفي شهادة المضيف لتخليصهم من أيدي العربي سواءً أكان مستقلاً أم من قبيلة صديقة(٢٤٥).

في ضوء هذه السياقات التي يُقدمها الرَّحّالة يتضح كيف كان الأعراب البدو يتعاملون مع اللصوص الذين يلجأون إليهم للحماية والملجأ، وكيف كانت المروء والشهامة تدفع العربي إلى حماية اللص وفقًا لقانون الدخالة والحماية الذي كان سائدًا آنذاك في النظام القبلي.

ومن بين الطرق للإفلات من العقوبة المنتظرة أيضًا تعهد اللص بدفع فدية معينة، وقد تتعهد القبيلة بسدادها، وفي تلك الحال يتم إخلاء سبيله(٢٤٦).

جُملة القول، أن السلطات السياسية والمحلية بذلت جهودًا لا تُنكر في مكافحة أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز، ونجحت هذه القوى وخصوصًا في فترات قوتها في الحد من هذه الظاهرة من خلال الإجراءات السياسية والعسكرية، وفرض العقوبات، ومع ذلك فإن

السلب والنهب لم يُقضَ عليه نهائيًّا وبشكل جذري خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، إذ عادت لتنشط في الفترات التي ضعفت فيها السلطة المركزية وخصوصًا في أواخر العهد العثماني. كما أسهمت العوامل الجغرافية، مثل وعورة بعض المناطق الجبلية، والتوترات القبلية، في توفير بيئة مناسبة لعودة نشاط العصابات واللصوص.

تبقى زاوية أخيرة يمكن مناقشتها في نهاية الدراسة كان لابد من الإشارة إليها ومناقشتها تتعلق بمُصطلح قد يبدو للوهلة الأولى متناقضًا، وهو مصطلح "أخلاقيات اللصوص"، فبالرغم من أن السلب والنهب عمل غير أخلاقي، ومُحرّم دينيًّا، ومُجرّم اجتماعيًّا، إلا أن إشارة الرَّحّالة إلى بعض هذه الأخلاقيات تكشف ربما عن وجود منظومات قيمية داخلية لدى بعض جماعات اللصوص كما سيتضح لاحقًا.

فحسب روايات الرَّحّالة فقد كانت بعض أعمال السلب والنهب تتقيد بأعراف قبلية تَحظُر التعدي على النساء، حتى أن بعض اللصوص كانوا يتجنبون السطو ليلاً حتى لا تُكشف عورات النساء، كذلك امتنع بعض هؤلاء اللصوص عن أسر النساء على الإطلاق، ويؤكد على ذلك الرَّحّالة بوركهارت بقوله:" دائمًا ما يُعامِل لصوص بلاد الحجاز المرأة العربية بكرامة، فلا يمتهنون شرفها على الإطلاق، وإذا ما جرى نهب حي أو قبيلة ليلاً فلا يتعرض أحد للنساء، وحتى في حالات العداء المُستعِر بين قبيلتين لم يكن اللصوص يطمعون سوى في سلب بعض ملابسهن فقط، وحتى في هذه الحالة كان اللصوص يراعون كرامة وشرف المرأة، فكانوا يعطون ظهورهم لهن، ولا يلتفت إليهن أي رجل من اللصوص ولو التفاتة واحدة ريثما تفرغ المرأة من التخلي عن المطلوب منها، فيأخذ اللص الملابس، وينصرف دون التعرض لها بسوء(٢٤٧).

والراجح هنا أن بعض اللصوص كانوا يمتنعون عن الاعتداء على النساء، ربما بدافع أخلاقي قبلي، أو ربما تجنبًا للعار، وهو ما يمكن ربطه بصورة أو بأخرى بفكرة "الشرف"،

وهو بلا شك مفهوم متجذر في الثقافة العربية القبلية، يجعل من العار التعرض للمرأة حتى من تلك الفئات التي امتهنت الإجرام. وهنا يجب التأكيد على أن هذا الامتناع عن التعرض للنساء لا ينبع من نزعة حقوقية أو إنسانية بالمعنى الحديث المتعارف عليه حاليًا، بل من بنية اجتماعية ترى في المرأة موضع شرف الجماعة، وبالتالي فإن أي انتهاك لها يُعد انتهاكًا لكرامة الجماعة بأكملها، وهو ما لا يقبله حتى اللص أو المجرم.

ومن بين الأخلاقيات التي تحلى بها بعض لصوص بلاد الحجاز أيضًا ما ذكره الرَّحّالة ماسوني بارني عن عدم لجوء بعض اللصوص إلى القتل وسفك الدماء أثناء عمليات السطو، وأنهم كانوا يتجنبون ذلك بكافة الوسائل الممكنة(٢٤٨)، حتى أنهم كانوا– في بعض الأحيان– لا يغيرون على القبائل ليلاً خشية أن يترتب على الهجوم الليلي مقاومة كبرى تنتهي بمذبحة عامة(٢٤٩). ويرد الرَّحّالة السبب في عدم سفك الدماء إلى وجود عادة الثأر المُتفشية بشكل كبير في تلك المجتمعات، فلا يمكن لأية قبيلة ترك دم أحد من أبنائها مهما كلفها ذلك من فقد لأفرادها، وفي الوقت نفسه لا يقبل العربي أية دية مقابل الدم(٢٥٠). كما أرجع الرَّحّالة يوليوس أويتنج عدم إقبال لصوص بلاد الحجاز على سفك الدماء لنفس السبب السابق، وأضاف أن أغلب لصوص بلاد الحجاز كانوا ينظرون إلى أعمال السلب والنهب التي يقومون بها على أنها عمل مُشرِّف!، وأنها بالنسبة لمعظم الفقراء الوسيلة الوحيدة التي تضمن لهم العيش(٢٥١).

كذلك يعزو الرَّحّالة بالجريف سبب توقف اللصوص عن سفك الدماء إلى أن هؤلاء اللصوص كان هدفهم الرئيس هو الحصول على الغنائم والأسلاب، لا إزهاق الأرواح، فهم– على حد قوله– لم يكونوا يسرقون دفاعًا عن موطنهم، ولا بلدانهم، ولا عن شرفهم، ولا عن دينهم، وإنما فقط من أجل سد حاجاتهم وجوعهم(٢٥٢).

ومن منظومة القيم الأخلاقية والعُرفية التي أشار إليها الرَّحّالة أيضًا عدم إقبال بعض اللصوص على سرقة أصدقائهم، وجيرانهم، حيث كانوا لا يتباهون ولا يتفاخرون بسرقة الأصدقاء والجيران، في حين كانوا يتفاخرون بسرقة أعدائهم(٢٥٣)، وهو تصَرُّف يدخل– بلاشك– ضمن مظاهر الشهامة، والوفاء، واحترام روابط الجوار التي تحلى بها أبناء القبائل العربية.

أيضًا شملت المنظومة الأخلاقية حِرص بعض اللصوص على التحلي بقيم المروءة والشهامة، والتي كانت تدفعهم أحيانًا إلى التنازل عن بعض نصيبهم من المسروقات لبعض الفقراء؛ ومن ذلك ما رواه الرَّحّالة بوركهارت من أن امرأة راحت تنادي على زعيم اللصوص مستعطفة إياه وهي تقول: "يا زعيم القوم أريد من الله ومنك الغذاء! سنموت جوعًا!"، فرأى زعيم اللصوص أن من الشرف أن يعطيها جملاً من نصيبه الذي حصل عليه من الغنيمة.

ومن أخلاقيات اللصوص التي أسهب في الإشارة إليها رحالة كُثر، أبرزهم بوركهارت، الوفاء بالعهود والوعود، فإذا عاهد اللص شخصًا على الأمان، أو أعطاه "جِوارًا"، أو تعهدًا برد ممتلكاته فغالبًا ما يفي به(٢٥٤).

ولاشك في أن موضوع أخلاقيات اللصوص كشف عن جانب مُعقد من الثقافة الاجتماعية والقبلية، وبيّن أن أعمال السلب والنهب لم تكن على الدوام فعلاً مرفوضًا، أو مجرد انحراف، وإنما خضعت لمعايير عرفية قبلية، حتى أن مصطلح أخلاق اللصوص نفسه يكشف عن ازدواجية أخلاقية تجمع بين الشهامة والمروءة والشجاعة من ناحية، والسرقة والقتل والنهب من ناحية أخرى، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الأخلاقيات لا تُعد تبريرًا للسلوك الإجرامي، فاللص يبقى لصًّا مهما كانت دوافعه وأهدافه، لكنها تعكس جانبًا من التقاليد التي كانت تضبط حتى من هم خارجون على القانون.

**الخاتمة**

في الختام خرج البحث بعدة نتائج أمكن إجمالها في الآتي:

**أولًا:** أوضحت الدراسة تفشي أعمال السلب والنهب في بلاد الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين/ الثامن والتاسع عشر الميلاديين، وانفراد رحالة القرنين المذكورين برصد تلك الظاهرة التي أغفلها كثير من المؤرخين المحليين.

**ثانيًا:** شكّلت أعمال السلب والنهب ظاهرة اجتماعية سلبية عبّرت عن خلل في بنية النظام السياسي، والأمني، والاجتماعي في بلاد الحجاز خلال الفترة موضوع البحث.

**ثالثًا:** ساهم غياب السلطة المركزية، وانتشار النزاعات القبلية في اتساع نطاق أعمال السلب والنهب خصوصًا في الفترات التي ضعفت فيها قبضة الدولة العثمانية، أو أثناء الصراعات بين القوى المحلية وبعضها البعض.

**رابعًا:** اتخذت أعمال السلب والنهب أشكالًا متعددة؛ منها ما كان مُنظمًا على شكل غزوات قبائلية، ومنها ما كان فرديًا مما يعكس تنوع الفاعلين، واختلاف دوافعهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

**خامسًا:** ارتبطت أعمال السلب والنهب بموسم الحج، والطرق التجارية الكبرى مما جعلها تهديدًا مباشرًا لمكانة الدولة، ومشروعها السياسي، وأدى إلى تدخلات حاسمة أحيانًا من قوى سياسية مثل محمد علي باشا، والدولة العثمانية، وقوى محلية مثل الأشراف والوهابيين.

**سادسًا:** لعبت القبائل العربية أدوارًا متباينة؛ فبينما تورط بعضها في أعمال النهب، قامت أخرى بحماية القوافل، وفرض نظام أمني عرفي، الأمر الذي يعكس اختلاف الولاءات، والأدوار القبلية في تلك المرحلة.

**سابعًا:** تباينت العقوبات الموقعة على أعمال السلب والنهب بين الحدود الشرعية (كالقتل والصلب)، والعقوبات القانونية والإدارية (كالإعدام والنفي والحبس)، وعقوبات قبلية (كالطرد والعزل، والقصَاص)، وغالبًا ما خضعت هذه العقوبات للاعتبارات القبلية المحلية.

**ثامنًا:** كشفت الوثائق التاريخية عن إدراكٍ عالٍ لخطورة الظاهرة، وخصوصًا لدى الحكام والولاة، مثل محمد علي باشا، وابنه إبراهيم باشا اللذين رأوا فيها تهديدًا مباشرًا لسلطتهم.

**تاسعًا**: رغم محاولات الدولة العثمانية، والأشراف، والوهابيين، وزعماء القبائل التصدي لأعمال السلب والنهب، والحدّ منها نسبيًّا، إلا أن جذورها الاجتماعية والاقتصادية ظلت قائمة حتى بدايات تشكل الدولة السعودية الحديثة

## هوامش البحث:

(١) هو مستكشف إيطالي، ولد حوالي عام ١٤٥٠م، ويقال أنه ذهب في رحلة إلى الجزيرة العربية، وأنه زار مكة بين سنتي ١٤٧٦-١٤٩٠هـ ولكن الشكوك تحوم حول ذلك. أنظر: جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، تقديم الشيخ حمد الجاسر، دار الكاتب العربي، بيروت ١٩٦٣م، ص٣٧.

(٢) رحالة إيطالي، زار الجزيرة العربية تحت اسم مستعار وهو الحاج يونس المصري. انظر؛ المصدر السابق، ص٣٧ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق، ص٣٧.

(٤) البادي عوض، الرَّحّالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان ١٨٤٥-١٩٢٢م)، الدار العربية للموسوعات، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١١م/١٤٣٢هـ، ص ص١٠-١١.

(٥) عالم رياضيات وخرائط ورحالة ألماني، عمل في خدمة الدولة الدنماركية، إرتحل إلى الجزيرة العربية، وكتب عنها كتابه الأهم "رحلة إلى شبه الجزيرة العربية. عنه بالتفصيل انظر؛ نيبور كارستن، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة، ترجمة عبير المنذر، دار الانتشار العربي، ج١، بيروت، ط١ ٢٠٠٧م، ص٧ وما بعدها.

(٦) المصدر السابق، ص٢٣٣.

(٧) يعد جوزيف بتس أول إنجليزي في التاريخ الحديث يزور مكة المكرمة عام ١٦٨٠م/١٠٩١ه، كما يعد أول رحالة يصف طريق الحج الغربي أو درب الحجاج ( البري والبحري) من بلاد المغرب- مروراً بمصر حتى يصلوا إلى الديار المقدسة. انظر؛ بتس جوزيف، رحلة جوزيف بتس ( الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص٧.

(٨) رحالة وجاسوس ومستشرق أسباني، رحل إلى الجزيرة العربية أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ودخلها منتحلاً اسما عربيا وهو علي باي العباسي. للمزيد عنه راجع: رحلات علي باي العباسي إلى مصر والحجاز وفلسطين ودمشق، ترجمة وتقديم: طلعت شاهين، مراجعة أحمد عبداللطيف، دائرة الثقافة والسياحة، أبو ظبي ٢٠٢٢م، ص٤ وما بعدها.

(٩) ولد جوهان لودفيج بوركهارت في بلدة لوزان السويسرية سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م ، ارتحل إلى جدة في منتصف يوليو سنة ١٨١٤م لتبدأ رحلته بجزيرة العرب حتى وفاته بالقاهرة ودفنه بها في أكتوبر سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م؛ انظر: بوركهارت، لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، جامعة الملك سعود، المملكة

العربية السعودية، ط١، ١٩٨٥م، ص٣-٦؛ روبن بدول، الرَّحّالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة: عبد الله آدم نصيف، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٩م، ص٤٤ ص-٦.

(١٠) رحالة ومُستشرق بريطاني، ولد سنة ١٨٢١م، رحل مُتنكرًا إلى الجزيرة العربية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي/الثالث عشر الهجري فزار المدينة المنورة ومكة المكرمة وغيرهما مدونًا كل ما شاهده. للمزيد عنه. انظر؛ المصدر السابق ، ص ص٤٥-٥٦.

(١١)عرفت هذه القرية بهذا الاسم، نظراً لحمرة الرمال القريبة منها، كما تسمي بالوسيطة أو الواسطة وفقاً لنطق الحجازيين لها، لأنها في منتصف المسافة بين ينبع إلى المدينة المنورة. انظر؛ ريتشارد ف بريتون، رحلة بريتون إلى مصر والحجاز، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٢٠٣.

(١٢) نفسه.

(١٣) ولد بايارد في عام ١٨٢٥م في مقاطعة جستر بولاية بنسلفانيا لأسرة من طائفة الكويكرز، وامتهن مهنة الطباعة في سن السابعة عشرة، وسرعان ما ظهرت لديه موهبة شعرية، وكان يرعاه في ذلك الأديب روفوس ويلموث جريسوولد، ونشر أول مجموعة شعرية له في فيلادلفيا عام ١٨٨٤م. ثم قام بجولات كثيرة إلى أوروبا وبالتحديد إلى إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وايطاليا. ثم تجول في الشرق فقام بزيارة مصر وفلسطين وسوريا عام ١٨٥١. انظر؛ تايلور بايارد، الترحال في جزيرة العرب، ترجمة: رنا جزائري، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢، ص٨.

(١٤) لكن لحسن الحظ قد وقع بايارد وقافلته في يد أصدقاء لابن شعلان كانوا في ضيافته العام الماضي حيث تعهد خلالها بحمايتهم حتى ولو كانوا في أعماق الصحراء، لذا لم يكن أحد من عشيرته يجرؤ على التحرش بهم عندما علم ذلك. وفوق كل ذلك ذلك كان محمد اين شعلان تدمرياً؛ فلا يحق لأي رويلي أن يغزوه ويسلبه، لأن تدمر تدفع الجزية لابن شعلان، وللتدامرة بذلك الحق في حمايته لذا أعطي الأوامر لمجموعة اللصوص برد ما سلبوه إلى بايارد. فضلاً عن ذلك فقد تصالح السارقون مع قافلة بايارد، كما اعتذروا له لاستخدامهم الرماح ضد امرأة ؛ حيث كانت معهم السيدة بلنت وكانت متخفية في ملابس خيال بدوي، مما منعهم من تمييز جنسها أثناء الارتباك الذي حصل أثناء الهجوم المفاجئ .انظر؛ المصدر السابق، ص ص ٦٦-٧.

(١٥)ولد أوتينج في مدينة شتوتجارت بألمانيا عام ١٨٣٩م، وتلقي تعليمه في علم اللاهوت في جامعة توبنجن، ثم استكمل مرحلة الدراسات العليا في النقوش والآثار واللغات القديمة واتخذ من هذه الاهتمامات وظيفة له حتى وفاته. بدأ أويتنج رحلاته عام ١٨٦٩م فزار تونس، وتركيا ومصر، لكن تظل رحلته إلى

بلاد الحجاز من أهم رحلاته العلمية ؛ حيث حصل من خلالها على آلاف النقوش الآرامية والنبطية والسبئية. انظر؛ البادي عوض، مرجع سابق، ص١٧٣.

(١٦) ولد بالجريف عام ١٨٢٦م لأب يهودي يدعي فرانسيس كوهين وأم مسيحية تدعى إليزابيث داوسون، ثم غير الأب اسم العائلة إلى اسم عائلة زوجته فأصبح يعرف باسم فرانسيس بالجريف، وتخلى عن ديانته اليهودية إلى المسيحية البروتستانتية. تلقى بالجريف تعليمه في جامعة أكسفورد، ثم التحق بالجيش البريطاني عقب تخرجه، كما تحول من المسيحية البروتستانتية إلى الكاثوليكية، واستقال من الجيش، وقرر أن يكون راهباً فانضم إلى جماعة يسوع، وعاد إلى أوروبا ليدرس علم اللاهوت في كلية رومانو وبقي بها حتى عام ١٨٥٧م، عندما انتقل إلى لبنان ليقوم مناطق ليقوم بالأعمال التبشيرية لصالح جماعته الدينية ، وبدأ بعد ذلك بالسفر إلى لبنان وسوريا داعيًا لدينه بين العرب. انظر؛

Palgrave, William. Gifford, Narrative of a Year's Journey Through Central and Eastern Arabia: 1862-63, Macmillan, 1871, pp. 282-3.

(١٧) البادي عوض، مرجع سابق ، ص٦٧ وما بعدها.

(١٨)تشالرز داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ترجمة: صبري محمد حسن، ج١، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م، ص ص٧٢-٤.

(١٩)البادي عوض، مرجع سابق، ص ص ١٠٧-٨.

(٢٠)هي السيدة آنابلا كنج نؤل التي ولدت في شهر سبتمبر من عام ١٨٣٧م، وهي حفيدة الشاعر الإنجليزي اللورد بيرن لأمها، بعد وفاة أمها وجدتها ورثت أموالا طائلة تُدر دخلاً سنويا يقدر بثلاثة آلاف جنيه إنجليزي، تعلمت في سن مبكرة الموسيقى والرسم، واللغات الألمانية والفرنسية والايطالية والإسبانية والعربية كذلك، وقامت برحلات كثيرة إلى أوروبا، وتعرفت على الدبلوماسي البريطاني وليفرد سكاون بلنت عام ١٨٦٦م، وتوجت علاقتهما بالزواج عام ١٨٦٩م، فأصبحت منذ ذلك التاريخ تُعرف باسم عائلة زوجها. انظر؛ البادي عوض، مرجع سابق، ص ص ١١٣-٤.

(٢١) جون فراير، ستة أشهر في الحجاز، رحلتان إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في عام ١٨٧٧-١٨٧٨م، ترجمة: إنعام إيبش، دار الكتب الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢، ص١١٨.

(٢٢)رحالة فرنسي، ولد سنة ١٨٤٧م بمدينة ستراسبورغ بمنطقة الألزاس بفرنسا، زار الجزيرة العربية سنوات (١٢٩٥-١٢٩٩ه/ ١٨٧٨-١٨٨٢م)- وقد عثر على أبرز اكتشاف أثري في المنطقة وهو حجر تيماء. انظر؛ شارل هوبير، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢م الحماد، الشمر، القصيم، الحجاز، ترجمة: إليسار سعادة، دار الكتب، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص٩.

(٢٣)المصدر السابق، ص ٧٢.

(٢٤)ولد ادوارد نولده عام ١٨٤٩م في مقاطعة لاتفيا، وتلقي تعليمه في بيت من البيوت الألمانية النبيلة المقيمة في تلك المقاطعة التي كانت تحت الحكم القيصري، بعد ثلاث سنوات من المرحلة الثانوية غادر المدرسة قبل إكماله لهذه المرحلة، وتطوع عام ١٨٧٠م في كتيبة الحرس، وأصبح ضابطاً بعد ذلك، وتطوع في صفوف فرسان كارل عندما قامت ثورة كارل في اسبانيا عام ١٨٧٢م١٨٧٦م ووصل إلى رتبة ملازم، ثم رحل إلى أمريكا الجنوبية عام ١٨٧٨م، وعين هناك في وظيفة مفتش ضريبة خمور، وفي عام ١٨٨٨م بدأ نولده رحلاته إلى القسطنطينية وإفريقيا وسوريا والجزيرة العربية، وبقي مرتحلاً حتى انهي حياته منتحراً في الحادي عشر من مارس عام ١٨٩٥. انظر؛ عوض البادي، مصدر سابق، ص ص ١١-٢.

(٢٥) البادي عوض، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر( حائل، القصيم، الرياض) ، دار بلاد العرب للنشر، المعهد العربي للدراسات الدولية، ط١، ١٩٩٧م، ص ص ٢١-٢ و ٢٧٣.

(٢٦)ولد عبد العزيز دولشتين في يونيو عام ١٨٦١م في عائلة لضابط بالجيش الروسي، وقد شغل والده مناصب مهمة في إدارة مناطق الأورال الجنوبية في روسيا، وبعد تخرجه من مدرسة الامبراطور بافل العسكرية في بطرسبرج، خدم عبد العزيز خمس سنوات في قلعة دينابورج، وتعلم في سنوات ١٨٨٧-١٨٩٠م في صفوف اللغات الشرقية لأجل الضباط لدى الدائرة الآسيوية في وزارة الخارجية. انظر؛ عبد العزيز دولتشين، الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولشتين إلى الحجاز سنة ١٨٩٨-١٨٩٩م، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م ، ص ٥.

(٢٧)المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٢٨) السنجاري، تقي الدين، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم الفترة من ١٠٩٧هـ إلى ١١٢٤هـ، ج٥، دراسة وتعليق: ملك محمد خياط، ٦أجزاء، جامعة أم القري، مكة المكرمة، ١٩٩٨ ، ص١٦٧؛ اليوسي، محمد العياشي: رحلة اليوسي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، ٢٠١٨م، ص١٦٠.

(٢٩) السويدي، أبو البركات عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين البغدادي(ت ١١٧٤هـ): النفحة المسكية في الرحلة المكية، المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٤٢٤هـ، ص٣١٩.

(٣٠) اليوسي، مصدر سابق، ص١٦٠.

(٣١) الدرعي، أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، الرحلة الناصرية ١٧٠٩-١٧١٠م، تحقيق: عبدالحفيظ ملوكي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ، أبوظبي، ط١، ٢٠١١، ص٣٧.

(٣٢) المصدر السابق، ص٣٤٥.

(٣٣)الحسين بن محمد الورثلاني، الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص٥٣١.

(٣٤)وتقيم هذه القبيلة في المنطقة الواقعة شرق مكة والمدينة المنورة، وتحديدًا في ممرات الحجاز التي تُفضي إلى طريق الحج القريب من المدينة المنورة، في المساحة التي تفصل بين جبل سلمى وجبل آجاع، إلى الغرب من مدينة عنيزة ذات الازدهار الاقتصادي. انظر؛

بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ١، ص ٢٦٢.

(٣٥) المصدر السابق، ص٣٣٣.

(٣٦) أحمد محمود أبو زيد، الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، أدباء ورحالة ومؤرخون وعلماء في الحجاز (١)، المجلة العربية، الرياض، ط١، ١٤٣٥ه، ص٨.

(٣٧) غازي على عفيفي، كتابات الرحالة مصدر تاريخي، مجلة العربية، الرياض، ١٤٣٩هـ، ص ٦٥؛ عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ( دراسة تحليلية نقدية مقارنة)، دارة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٢٢-٢٣.

(٣٨) غازي، مصدر سابق، ص٦٥.

(٣٩) البادي عوض، الرَّحّالة الأوروبيون، مرجع سابق ، ص٩.

(٤٠) سورة الحج، آية ٧٣.

(٤١) ابن منظور، لسان العرب، مادة سلب، دار المعارف، ط.القاهرة د.ت، ص٢٠٥٧-٢٠٥٨؛ المعجم الوسيط: مادة سلب، مكتبة الشروق الدولية، ط٤. مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤، ص ٤٤٠؛ منى بنت علي الفلاج، السلب في العربية "دراسة صرفية لغوية"، مجلة الدراسات اللغوية، مج ١١، عدد (٣)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رجب –رمضان ١٤٣٠هـ، ص١١-١٢؛ علي أحمد خضر المعماري و أحمد عبدالعزيز الهسنياني، دراسات في علم الإجرام، المنهل، ط.١، بيروت، ٢٠١٢م، ص٢٤٣.

(٤٢) علي أحمد خضر المعماري و أحمد عبدالعزيز الهسنياني، المرجع السابق، ص٢٤٣

(٤٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة نهب، ص٤٥٥٣؛ المعجم الوسيط، مادة نهب، ص٩٥٦.

(٤٤) علي أحمد خضر المعماري و أحمد عبدالعزيز الهسنياني، المرجع السابق، ص٢٤٢-٢٤٤.

(٤٥)من المعروف أن الدولة العثمانية ورِثَتْ السيادة على إقليم الحجاز من المماليك بعد معركة الريدانية عام ١٥١٧م/ ٩٢٣ه، والتي انتصر فيها السلطان سليم الأول على الأشرف طومان باي آخر سلاطين دولة

المماليك، ومنذ ذلك التاريخ أصبح سلاطين آل عثمان حُماة الحرمين الشريفين، وازدادت صِلَتهم ببلاد الحجاز بعد اعترافهم بنظام "الشَّرافة" في مكة المكرمة وما حولها منذ أن قَدَّم بركات الثاني شريف مكة ولاءه للسلطان سليم الأول. راجع: القحطاني جاسم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد (١٠٤)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٢م، ص ٢٨٢.

(٤٦)شارل ديديه، رحلة إلى رحاب الشريف الأكبر شريف مكة المكرمة، ترجمة وتعليق: محمد خير البقاعي، الدار العربية للموسوعات، ط ٢، ٢٠٠٧م، ص ١٦٢؛ الفقيه إحسان، العثمانيون وأرض الحجاز، مقال منشور بتاريخ ٦ يونيو ٢٠٢٣م بموقع:

https://ehssanalfakeeh.com/?p=6754

(٤٧)ابتسام الصافي، التحدي السعودي للعثمانيين في الحجاز في القرن التاسع عشر الميلادي: الأسباب والنتائج، مجلة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية، جامعة الملك خالد، مج ٤، عدد (٤)، أكتوبر ٢٠٢٣، ص ٣٧.

انتهى الصراع بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية بفقدها لأجزاء واسعة من أراضيها في الدانوب والبحر الأسود، اضطر معه العثمانيون إلى توقيع معاهدة كوجك- كينارجه عام ١٧٧٤م/ ١١٨٨ه التي فتحت الباب واسعًا لتدخلات الروس في شئونها الداخلية. راجع:

(٤٧)ابتسام الصافي، التحدي السعودي للعثمانيين في الحجاز في القرن التاسع عشر الميلادي، ص ٣٧.

(٤٨)الفقيه إحسان، مرجع سابق، بموقع:

https://ehssanalfakeeh.com/?p=6754

(٤٩)ظهرت طائفة الوهابيين في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وبالتحديد عام ١٧٤٦م/ ١١٥٩ه على يد مؤسسها محمد بن عبد الوهاب الذي نادى بحركة إصلاح ديني، وانضم إليهم أمير الدرعية محمد بن سعود، ومن بعده خلفاؤه عبد العزيز وسعود، وتمكنوا سياسيًّا وعسكريًّا من إخضاع كل الجزيرة العربية لتعاليم الوهابية، وقد سيطر السعوديون في سنة ١٢١٨- ١٢٢٠هـ على بلاد الحرمين الشريفين، وكذلك الأحساء ونجد، ولم يتوقف نجاح الوهابيين عند ذلك، بل امتد نفوذهم إلى اليمن وعمان، كما سيطرت على كثير من القبائل في العراق وسوريا، وأصبحت تدفع لها الزكاة. انظر: عزيزة غنام، أوضاع وسط الجزيرة العربية قبيل ظهور الحركة الوهابية، دراسات في آثار الوطن العربي، مصر، ص ٦٣٩. ولمزيد من التفاصيل يمكن أيضًا الرجوع إلى: سليمان عبدالله، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم

الإسلامي، عنيزة، ١٤٢٠هـ؛ الفقي حامد، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، ١٣٥٤هـ.

(٥٠)بوركهارت جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٥م، ط ١، ص ٩٦.

(٥١)دأبت الكتابات التركية المعادية للدعوة الوهابية على ترديد هذه المقولات، ولكن بعض المصادر التاريخية النجدية تؤكد الاستيلاء على النفائس الموجودة في مقام النبي- صلي الله عليه وسلم- للاعتقاد بأن التقرب لغير الله حرام. ويشير عبد الله بن صالح العثيمين في كتابه: "تاريخ المملكة العربية السعودية" وبالاعتماد على المصادر التاريخية المحلية إلى ذلك بقوله: "كان سعود بن عبد العزيز قد أخذ تلك النفائس عند استيلائه على المدينة المنورة، وأنفق ثمنها على فقراء البلدة. وقد ذكر ذلك عدد من الكتاب من بينهم عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن الذي ذكر أن سعودًا لم يقم بما قام به إلا بعد أن أفتاه علماء المدينة بوجوب القيام به. أما فيما يتعلق بحفر قبر النبي، وإخراج رفاته، وإعادته إلى القبر، فلم تذكر المصادر التاريخية أي شيء عنه. كما أن التحقيقات التي جرت مع الإمام عبد الله بن سعود عند محاكمته في إسطنبول لم تذكر شيئًا من ذلك، ولم يُسأل عنه مما يؤكد أن ذلك الأمر لم يتم. انظر: البادي عوض، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ص ٨- ٦٧.

(٥٢) يُعَدّ السلطان محمود الثاني (١٧٨٥– ١٨٣٩م) من أبرز حكّام الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، إذ ارتبط اسمه بمحاولات التحديث والإصلاح التي مهدت لمرحلة التنظيمات العثمانية، وكان قد تولّى العرش سنة ١٨٠٨م في ظروف بالغة الصعوبة داخليًّا وخارجيًّا؛ فقد واجه تمردات الإنكشارية، وضعف السلطة المركزية أمام نفوذ الولاة والأعيان، فضلاً عن التحديات العسكرية أمام القوى الأوروبية الصاعدة. وقد عُرف محمود الثاني بصرامته السياسية، ورغبته في إعادة بناء الدولة؛ فأقدم سنة ١٨٢٦م على القضاء على مؤسسة الإنكشارية، كما عمل على إعادة تنظيم أحوال البلاد الإدارية والمالية والقضائية، وإدخال إصلاحات في مجال التعليم. انظر:

Stanford, J. Shaw & Ezel, Kural. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: Reform, Revolution, and Republic: The Rise of Modern Turkey, 1808–1975, Vol. 2, Cambridge University Press, Cambridge ,1977, pp. 1–30.

(٥٣) مدينة تاريخية تقع في نجد على ضفاف وادي حنيفة، كان قد أسسها مانع المريدي سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م بعد قدومه من وادي الدروع، وقد تطورت سريعًا لتصبح مركزًا سياسيًّا واجتماعيًّا بارزًا في المنطقة، ثم اكتسبت أهميتها الكبرى مع قيام الدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م إثر التحالف بين الإمام

محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث صارت عاصمة الدولة، ومركزًا لنشر الدعوة الإصلاحية. انظر:

عبد الله بن صالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية: الدرعية والدولة السعودية الأولى، دار إشبيليا، الرياض، ١٩٩١م، ص ص ١٥– ٢٠.

(٥٤) عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود: آخر حكّام الدولة السعودية الأولى، كان قد تولّى الحكم سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م بعد وفاة والده الإمام سعود الكبير، وواجه في عهده الحملة العثمانية– المصرية بقيادة إبراهيم بن محمد علي باشا التي أرسلها السلطان العثماني محمود الثاني لإخضاع الحجاز ونجد بعد توسع النفوذ السعودي، وتهديده لسلطة الدولة العثمانية في شبه الجزيرة العربية. وبعد حصار طويل للدرعية، استسلم عبد الله بن سعود سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، ثم أُرسل أسيرًا إلى القاهرة، ومنها إلى إسطنبول، حيث أُعدم بأمر السلطان محمود الثاني سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م، وبموته انتهت الدولة السعودية الأولى. انظر: المرجع السابق، ص ص ٢٣٥– ٢٤٠.

(٥٥)موريس تاميزيه، رحلة في بلاد العرب، ترجمة وتعليق: محمد بن عبدالله آل زلفه، الرياض، ١٩٩٣م، ص ص ٣– ٣٢؛ شارل ديدييه، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ البادي عوض، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ص ٦٩، ٧٠.

(٥٦) حياة الرشيدي، جدة بين رحالتين من كتابات "صفحات من تاريخ مكة (١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م) وكورتلمون "رحلتي إلى مكة" ( ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م) دراسة تحليلية نقدية مقارنة، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، مج ٤٨، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، ديسمبر ٢٠٢٠، ص ص ٧– ٤٦.

(٥٧)حياة الرشيدي، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٥٨) فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود: هو ثاني حكام الدولة السعودية الثانية وأهمّهم، كان قد تولّى الحكم أول مرة سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م بعد استشهاد والده الإمام تركي بن عبد الله، ودخل في حرب مع محمد علي باشا الذي حاول بسط نفوذه على نجد بعد سقوط الدولة السعودية الأولى. جدير بالذكر أن فيصل قد أسر سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، وأُرسل إلى مصر حيث بقي فيها عدة سنوات، ثم عاد إلى نجد، واستعاد الحكم سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، ليبدأ أطول فترة حكم في تاريخ الدولة الثانية امتدت حتى وفاته عام ١٨٦٥م. انظر:

عبد الله بن صالح العثيمين، مرجع سابق، ص ص ٤٥– ٧٠.

(٥٩)عبد الله بن فيصل بن تركي آل سعود: يعد من أبرز أمراء الدولة السعودية الثانية، تولى الحكم بعد وفاة والده الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، لكنه واجه صراعات داخلية مع أخيه سعود بن فيصل حول الإمارة مما أدى إلى اضطراب الوضع السياسي في نجد، وتدخل القوى الإقليمية مثل الدولة العثمانية وحكام حائل. عُرف عبد الله بالحزم، والتمسك بسلطته، إلا أنّ النزاعات الداخلية والدعم الخارجي لبعض خصومه أضعف موقفه، وهو ما عجّل بتراجع نفوذ آل سعود في تلك المرحلة، وتوفي عام (١٣٠٧هـ/ ١٨٩١م). انظر: عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٩م، ص ص ٥٥- ١٥١.

(٦٠)وليم جيفورد بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢- ١٨٦٣م)، مج ١، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ص ٣٢، ٣٣؛ البادي عوض، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ص ٤- ٧١.

(٦١) محمد بن سعود بن فيصل بن تركي آل سعود: كان قد تولّى محمد الحكم في فترات متقطعة خلال العقد الأخير من عمر الدولة، لكنه واجه صعوبات كبيرة في تثبيت سلطته بسبب الصراع الداخلي من جهة، وضغط آل رشيد من جهة أخرى، وفي النهاية انهارت الدولة السعودية الثانية بسقوط الرياض في يد محمد بن عبد الله بن رشيد (١٨٩١م) مما أجبر محمد بن سعود وبعض أفراد أسرته على الخروج إلى الكويت، حيث أقاموا فترة من الزمن، وتوفي الأمير محمد عام ١٨٩٨م. انظر:

عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص ص ١٤٩– ١٥٣.

(٦٢) البادي عوض، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ص ٨٠، ٨١.

(٦٣)البدوي مطلق، الأوضاع السياسية في شمال شبه الجزيرة العربية ١٢١٤- ١٣١٧هـ/ ١٨٠٠- ١٩٠٠م، المجلد ٣٤، العدد ١٣٣، كلية الآداب، جامعة المنوفية، أبريل ٢٠٢٣، ص ص ٦- ٢٧٥.

(٦٤) رحالة أيرلندي، كان والده من قساوسة بوركشاير، بدأ أولى رحلاته عام ١٨٧٧م، وزار كلاً من مكة والمدينة المنورة خلال الفترة ١٨٧٧- ١٨٧٨م. انظر: جون فراير، مصدر سابق، ص ٧.

(٦٥) المصدر السابق، ص ص ٢- ١٠١.

(٦٦) بتس، مصدر سابق، ص ص ٧٣، ٧٤.

(٦٧) كورتيلمون، جول، رحلتي إلى مكة في عام ١٨٩٤م، ترجمة: أحمد إيبش، دار الكتب الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣، ص ١٢٢؛ جون فراير، مصدر سابق، ص ص ١٠١- ١١١.

(٦٨) عبد الغني إبراهيم، روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية ١٥٠٠- ١٨٤٠م، ج ١، دار الساقي، لبنان، ط ١، ٢٠١٣م، ص ١٦١.

(٦٩) الخطيب محمد، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٦م، ص ١٨٢.

(٧٠)بوركهارت لويس، ملاحظات عن البدو الوهابيين جرى جمعها خلال التجوال في الشرق، ج ١، ترجمة: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ١٢٠.

(٧١)دولشتين، مصدر سابق، ص ص ٨– ١٥٧.

(٧٢) بوركهارت لويس، ترحال في الجزيرة العربية يتضمن تاريخ مناطق الحجاز المقدسة عند المسلمين، ج ٢، ترجمة: محمد صابر عرب، المركز القومي للترجمة، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ص ١– ٢٢٠.

(٧٣) بتس، مصدر سابق، ص ٧١.

(٧٤) بالجريف، مصدر سابق، ص ص ٧– ٥٦.

(٧٥) بوركهارت، ملاحظات عن البدو الوهابيين، مصدر سابق، ص ص ٨– ٩٧.

(٧٦) صنيتان بن محمد، مرجع سابق، ص ص ٣– ٦٢.

(٧٧) فراير، مصدر سابق، ص ٧٥؛ البدوي مطلق، مرجع سابق، ص ص ٢– ٢٨١.

(٧٨)من عشيرة عُنَيْزة بن وائل، وتعد أكبر عشائر عنيزة عددًا، وأعظمها قوة، وتنتشر هذه القبيلة في المنطقة الواقعة من شمال الجزيرة العربية إلى حدود سوريا والعراق، ويبلغ عدد سكانها نحو ثلاثمائة وخمسين ألف نسمة، وتبلغ مساحة أراضيها نحو أربعين ألف ميل مربع، وعُرفوا بأنهم من عشائر البدو الأكثر نفوذًا في بلاد الحجاز لقوتهم، ولكثرة رجالهم، وتأثيرهم على الحياة السياسية. انظر؛
الرضوان كارل، الخيام السود في بلاد العرب، قصة ضابط عاش ربع قرن مع عشائر الشام والحجاز، ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، مكتبة الجامعة الهاشمية، ط ١، ١٩٨٣م، ص ٧.

(٧٩) البدوي مطلق، مرجع سابق، ص ص ٢– ٢٨١.

(٨٠) السنجاري، مصدر سابق، ص ص ٥– ٢٣٤، عبد الغني عارف، تاريخ أمراء المدينة المنورة (١هـ– ١١٧هـ)، دار كنانة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د. ت، ص ٣٢٤.

(٨١) فراير، مصدر سابق، ص ٧٥.

(٨٢) نيبور كارستن، مصدر سابق، ص ٢٣٣.

(٨٣)البلوي مطلق بن صياح، الأوضاع السياسية في شمال شبه الجزيرة الرعبية ١٢١٤– ١٣١٧ه/ ١٨٠٠– ١٩٠٠م، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة تبوك، د. ت، ص ٢٨٠.

(٨٤) مريم العتيبي، الوضع الأمني في نجد خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، العدد (١)، مج (١٧)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، ٢٠٢٣، ص ص ٧٨– ٨١.

(٨٥) ابتسام الصافي، تقرير عن الأوضاع السياسية والدينية والاقتصادية في الحجاز خلال القرن العاشر الهجري في ضوء المصادر المعاصرة، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، مجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد (١٩)، أبريل ٢٠٢٤، ص ٥٥٦.

(٨٦) فراير، مصدر سابق، ص ٧٥؛ البدوي مطلق، مرجع سابق، ص ص ٢- ٢٨١.

(٨٧) إداورد نولده، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر "نص رحلة البارون إدوارد نولده مبعوث روسيا إلى نجد عام ١٨٩٣م/ ١٣١٠م"، تقديم وتعريب وتحرير: عوض البادي، دار بلاد العرب للنشر، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٦١؛ إبراهيم عبد الغني، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

(٨٨) نيبور كارستن، مصدر سابق، ص ٢٣٣؛ صنيتان بن محمد، السعودية السياسي والقبيلة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ( د. ت)، ص ٦٠.

(٨٩) صنيتان بن محمد: مرجع سابق، ص ٦١.

(٩٠) نيبور كارستن، مصدر سابق، ص ٢٣٣؛ صنيتان بن محمد، مرجع سابق، ص ص ٢- ٦١.

(٩١) صنيتان بن محمد، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٩٢)فراير، مصدر سابق، ص ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٩٣) نواب، مرجع سابق، ص ٢٦١.

(٩٤) المرجع السابق، ص ص ٣- ٢١٢.

(٩٥) فراير، مصدر سابق، ص ١٨.

(٩٦) محمد بن حسن عقيل، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، مج ١، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٨٤٩.

(٩٧) السنجاري، مصدر سابق، ص ١٦٧؛ اليوسي، مصدر سابق، ص ١٦٠.

(٩٨) فراير، مصدر سابق، ص ص ١٠١، ١٠٢.

(٩٩) الدرعي، مصدر سابق، ص ٣٤٥؛ نواب، مرجع سابق، ص ٢٢٢؛ بلمداني نوال، فئة السّراق في الحجاز خلال القرن ١٢ه/ ١٨م دراسة في العناصر والممارسات"، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مج ١٣، عدد (٢)، يوليو ٢٠٢٢م، ص ٢٠.

(١٠٠) جارشلي إسماعيل، أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، ط ١، ٢٠٠٣، ص ١٦٨.

(١٠١) الدرعي، مصدر سابق، ص ٣٧١.

(١٠٢) تقع منطقة بيشة بين خطي عرض ١٩، ٢٠ شمالًا، وخطي طول ٤٢، ٤٣ شرقًا، على الحدود الشمالية الشرقية لمنطقة عسير ضمن هضبة يطلق عليها (هضبة بيشة)، ويحدها شمالًا رنية الواقعة في مكة المكرمة، وجنوبًا الحدود الإدارية لمنطقتي خميس مشيط، والنماص، وشرقًا منطقة تثليث، وغربًا منطقة (سبت العلايا) ومنطقة الباحة. انظر: تاميزيه، مصدر سابق، ص ١٤٩.

(١٠٣)المصدر السابق، ص ١٤٤.

(١٠٤)عقيل، مرجع سابق، ص ص ٧- ٦٨٦.

(١٠٥) الورثلاني، مصدر سابق، ص ٦١٦؛ بلمداني نوال، مرجع سابق، ص ٢٣.

(١٠٦)تُعد **عملة الدوك** المعروفة في المصادر الأجنبية باسم **"Ducat"**، من أبرز العملات الذهبية التي ظهرت في أوروبا خلال العصور الوسطى، وارتبطت بشكل أساسي بمدينة **البندقية** الإيطالية، وكانت قد سكت هذه العملة لأول مرة عام ١٢٨٤م، وما لبثت أن انتشرت بسرعة، واستخدمت في المعاملات التجارية بشكل خاص في حلب والإسكندرية نظرًا لوزنها الثابت، ونقاء الذهب العالي الذي صنعت منه، وكانت قد أدخلت إلى الجزيرة العربية مع ازدهار التجارة العثمانية وبشكل كبير مع أوروبا، ما ساهم في دخولها إلى تلك الجزيرة مع هؤلاء التجار. انظر:

حمد الجاسر، العملات المتداولة في الجزيرة العربية، مجلة العرب، العددان (٥، ٦)، ١٩٨٠م/ ١٤٠٠هـ، ص ص ٤٥، ٤٩- ٥٢.

(١٠٧) كارستن نيبور، مصدر سابق، ص ٢٢٣.

(١٠٨)دولشتين، مصدر سابق، ص ص ٨- ١٥٧.

(١٠٩)نواب، مرجع سابق، ص ص ٧- ٢١٦.

(١١٠) بوركهارت، ج ٢، مصدر سابق، ص ٥١.

( (١١١)نواب، مرجع سابق، ص ص ٥- ٢١٤.

(١١٢) يطلق على وادي فاطمة اسم وادي الجموم، وهو عبارة عن أراضٍ منخفضة تكثر فيها عيون المياه والآبار، يمتد شرق شمال شرق إلى مسافة تقدر بمسير أربع ساعات أو خمس إلى أن يكاد يتصل بوادي الليمون، ويطلق الناس على الطرف الغربي من وادي فاطمة اسم مدوع، وإلى الغرب ينتهي وادي فاطمة بمسير ساعة ونصف الساعة؛ إذ يبلغ إجمالي وادي فاطمة حوالي مسير ست ساعات، والجانب الغربي من وادي فاطمة بمثابة المزارع الرئيسية، ومن الناحية الشرقية لا يزرع من الوادي سوى بعض المناطق القليلة، ووادي فاطمة له أسماء مختلفة في كثير من أجزائه، ولكن أهل جدة ومكة يعرفونه باسم الوادي

ليس إلا، والمؤرخون العرب يطلقون عليه اسم وادي مَر. انظر: بوركهارت، ج ٢، مصدر سابق، ص ص ٤- ٦٣.

(١١٣) عقيل، مرجع سابق، ص ٦٥٦.

(١١٤) المرجع السابق، ص ٦٩٦.

(١١٥) بتس، مصدر سابق، ص ٧١.

(١١٦) المصدر السابق، ص ٦٥.

(١١٧) فورتر سادلير، مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام ١٨١٩م، ترجمة: أنس الرفاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ١٥٤.

(١١٨)عبد الرحيم عبد الرحمن، من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي ١٢٢٨- ١٢٣٤هـ/ ١٨١٣- ١٨١٨م، مج ٢، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ص ٨- ٢٦٧.

(١١٩) عقيل، مرجع سابق، ص ٤٩٧.

(١٢٠) إبراهيم عبد الغني، مرجع سابق، ص ٣٤٧.

(١٢١) تاميزيه، مصدر سابق، ص ٢٢٠.

الثنية بلدة معروفة تقع على وادي تبالة، ويُسمى وادي تبالة عند مصبه في وادي بيشة بالثنية، وتقع الثنية إلى الشمال الغربي من بيشة، وتبعد عنها بحوالي ٤٥ كيلو مترًا. انظر: تاميزيه: رحلة في بلاد العرب، ص ١٣٨.

(١٢٢)الورثلاني، مصدر سابق، ص ٣٢٨؛ لبصير سعاد، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

(١٢٣) عن نص الوثيقة انظر: أغلق سنان معروف، نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، الأحول السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني، دار الساقي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ص ٩٤- ٩٦.

(١٢٤)دولشتين، مصدر سابق، ص ٧٢.

(١٢٥) بيتس، مصدر سابق، ص ٧١؛ لبصير سعاد، الرحلة الحجازية في العهد العثماني (١٥١٨- ١٨٣٠م) مصدر أساسي للكشف عن الحدث التاريخي الاجتماعي "الآفات الاجتماعية نموذجًا"، مجلة التراث، مج ١، عدد ١، جامعة الجلفة، الجزائر، ٢٠١٨م، ص ٢٠٩.

(١٢٦)الورثلاني، مصدر سابق، ص ٥٣١؛ لبصير سعاد، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

(١٢٧)الورثلاني، مصدر سابق، ص ٤٢٢؛ لبصير سعاد: الرحلة الحجازية في العهد العثماني، ص ٢٠٩.

(١٢٨)الورثلاني، مصدر سابق، ص ٣٣٣.

(١٢٩)دولشتين، مصدر سابق، ص ٧٢.

(١٣٠) لكن لحسن الحظ وقع بايارد وقافلته في أيدي أصدقاء لابن شعلان كانوا في ضيافته العام الماضي، حيث تعهد خلالها بحمايتهم حتى ولو كانوا في أعماق الصحراء، لذا لم يكن أحد من عشيرته يجرؤ على التحرش بهم عندما علموا ذلك. وفوق كل ذلك كان محمد بن شعلان تدمريًا؛ فلا يحق لأي رويلي أن يغزوه ويسلبه؛ لأن تدمر تدفع الجزية لابن شعلان، وللتدامرة بذلك الحق في حمايته، لذا أعطى الأوامر لمجموعة اللصوص برد ما سلبوه إلى بايارد، فضلاً عن ذلك فقد تصالح السارقون مع قافلة بايارد، كما اعتذروا له عن استخدامهم الرماح ضد امرأة؛ حيث كانت معهم السيدة بلنت، وكانت متخفية في ملابس خيال بدوي مما منعهم من تمييز جنسها أثناء الارتباك الذي حصل أثناء الهجوم المفاجيء. انظر: بايارد، مصدر سابق، ص ص ٧– ٦٦.

(١٣١)عرفت هذه القرية بهذا الاسم نظرًا لحمرة الرمال القريبة منها، كما تسمى بالوسيطة أو الواسطة وفقًا لنطق الحجازيين لها؛ لأنها تقع في منتصف المسافة بين ينبع والمدينة المنورة. انظر: بريتون، مصدر سابق، ص ٢٠٣.

(١٣٢)المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(١٣٣)تقع هذه القبيلة في منطقة استراتيجية تمتد بين الجوف وفلسطين، ومن تيماء إلى جبل شمر مما جعلها تتحكم في أحد أهم الطرق المُستخدمة للحج والتجارة. انظر؛

البادي عوض، الرَّحّالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ص ١٦٣–٤.

(١٣٤)هي صحراء رملية تكسوها التلال الرملية، يبلغ ارتفاع هذه التلال في المتوسط من قمتها إل قاعدتها ما بين ٣٠ إلى ٥٠ مترًا، وأحيانًا من ٧٠ إلى ١٠٠ متر بحيث يشعر الإنسان أحيانًا بأنه محاط بحوائط رملية حقيقية وقائمة. انظر: برو توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، د. م، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ص ٤– ٢٣.

(١٣٥)أويتنج، مصدر سابق، ص ص ٦– ٢٦٥.

(١٣٦)ولد كارلو في لجورن بإيطاليا عام ١٨٢٨م، كان والده يعمل في التأمين والشحن، وبعد ذلك تاجر حرير، وبعد خسارته في التجارة قرر الهجرة إلى بيروت عام ١٨٥٠م، اشتغل كارلو بالتجارة، ولكنها لم تناسبه، فحصل على وظيفة ممثل للبريد الإمبراطوري الفرنسي في القدس، ومن موقعه الجديد بدأ جوارماني في رحلاته في صحاري بلاد الشام؛ حيث ركز جهوده على بيع وشراء الخيول العربية، وحينما تم استدعاؤه إلى باريس من قبل الحكومتين الفرنسية والإيطالية تم تكليفه برحلة لشراء الخيول العربية للدولتين، وبهذا الهدف المعلن انطلق في رحلته الشهيرة إلى الجزيرة العربية عام ١٨٦٤م. انظر: البادي عوض، الرَّحّالة الأوروبيون، مرجع سابق، ص ص ٧– ٩٦.

(١٣٧)المرجع السابق، ص ص ٨– ١٠٧.

(١٣٨)داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج ١، مصدر سابق، ص ص ٤– ٧٢.

(١٣٩)البادي عوض، الرَّحّالة الأوروبيون، مرجع سابق، ص ص ٨– ١٠٧.

(١٤٠)هي السيدة آنابلا كنج نؤل، ولدت في شهر سبتمبر من عام ١٨٣٧م، وهي حفيدة الشاعر الإنجليزي اللورد بيرن لأمها، بعد وفاة أمها وجدتها ورثت أموالًا طائلة تُدر دخلاً سنويًا يقدر بثلاثة آلاف جنيه إنجليزي، تعلمت في سن مبكرة الموسيقى والرسم، واللغات الألمانية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والعربية كذلك، وقامت برحلات كثيرة إلى أوروبا، وتعرفت على الدبلوماسي البريطاني وليفرد سكاون بلنت عام ١٨٦٦م، وتوجت علاقتهما بالزواج عام ١٨٦٩م، فأصبحت منذ ذلك التاريخ تُعرف باسم عائلة زوجها. انظر: البادي عوض، الرَّحّالة الأوروبيون، مرجع سابق، ص ص ٤– ١١٣.

(١٤١) فراير، مصدر سابق، ص ١١٨.

(١٤٢)المصدر السابق، ص ص ٢٥٩، ٢٦٠.

(١٤٣)هوبير، مصدر سابق، ص ٧٢.

(١٤٤)البادي عوض، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ص ٢– ٢١، ٢٧٣.

(١٤٥)دولتشين، مصدر سابق، ص ١٠٤.

(١٤٦)داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج ١، مصدر سابق، ص ٧٣.

(١٤٧)كارل، مصدر سابق، ص ص ٥– ١٨٤.

(١٤٨)السنجاري، مصدر سابق، ص ٣٤٧.

(١٤٩)السنجاري، مصدر سابق، ص ٣٤٧.

(150) ) Samuel, Zwemer, Arabia Op., Cit, P. 155-6.

(١٥١) السويدي، مصدر سابق، ص ٣٠١.

(١٥٢)فراير، مصدر سابق، ص ١٨٣.

(١٥٣) السويدي، مصدر سابق، ص ٣٠١.

(١٥٤)فراير، مصدر سابق، ص ١٨٣.

(١٥٥)بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ١، مصدر سابق، ص ص ١١٩، ١٢٠.

(١٥٦) عقيل، مرجع سابق، ص ٦٥٦.

(١٥٧) المرجع السابق، ص ٦٩٦.

(١٥٨)دولشتي، مصدر سابق، ص ١٥٨.

(١٥٩)فراير، مصدر سابق، ص ١٨٣.

(١٦٠)بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ١، مصدر سابق، ص ص ٩– ١١٨.

(١٦١)بوركهارت، ملاحظات عن البدو الوهابيين، مصدر سابق، ص ص ٢- ١١١.

(١٦٢)نفسه.

(١٦٣)المرجع السابق، ص ص ١- ١٠٠.

(١٦٤)أويتنج، مصدر سابق، ص ص ٤- ٢٦٣.

(١٦٥) عقيل، مرجع سابق، ص ٨١٦؛ الدرعي، مصدر سابق، ص ٣٧٩.

(١٦٦) عقيل، مرجع سابق، ص ٨١٦؛ فراير، مصدر سابق، ص ص ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٧٧، ٢٧٨.

(١٦٧)فراير، مصدر سابق، ص ص ٢٥٢، ٢٥٣.

(١٦٨)المصدر السابق، ص ١٨٣.

(١٦٩)المصدر السابق، ص ٢٥٣.

(١٧٠)السنجاري، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ج ٥، مصدر سابق، ص ١٠٢.

(١٧١) البدوي مطلق، مرجع سابق، ص ص ٢- ٢٨١.

(١٧٢)البادي عوض، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ص ٦٩، ٧٠؛ حياة الرشيدي، مرجع سابق، ص ٤٨.

(١٧٣) فراير، مصدر سابق، ص ١٨.

(١٧٤)سنان معروف، مرجع سابق، ص ص ٦- ٩٤؛ السنجاري، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ج ٥، مصدر سابق، ص ٣٤٧؛ دولشتين، مصدر سابق، ص ص ٨- ١٥٧؛ عقيل، مرجع سابق، ص ٨٢٠.

(١٧٥) عقيل، مرجع سابق، ص ٨٤٩؛ الحضيكي، مصدر سابق، ص ٩٧.

(١٧٦)الحضيكي، مصدر سابق، ص ٩٧.

(١٧٧)البلوي مطلق، مرجع سابق، ص ص ٤- ٢٧٣.

(١٧٨)فراير، مصدر سابق، ص ٢٧٦.

(١٧٩) بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢- ١٨٦٣م)، ج ١، مصدر سابق، ص ص ٧- ٥٦.

(١٨٠) إبراهيم، عبد الغني، مرجع سابق، ص ٣٤٧.

(١٨١)الورثلاني، مج ٢، مصدر سابق، ص ٣٢٨؛ لبصير سعاد، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

(١٨٢) الخطيب محمد عوض، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(١٨٣)نواب، مرجع سابق، ص ص ٧- ٢١٦.

(١٨٤)عقيل، مرجع سابق، ص ٦٧٣.

(١٨٥) إبراهيم عبد الغني، مرجع سابق، ص ص ٥- ٢١٤.

(١٨٦)بريتون، مصدر سابق، ص ٢٠٩.

(١٨٧)فراير، مصدر سابق، ص ١٩٧.

(١٨٨)بناءً على أوامر السلطان العثماني لشرفاء مكة فقد وضع شريف مكة حلولًا جذرية للقضاء على أعمال السلب والنهب بدءًا من الإمساك باللص لمنع هروبه، ومنعه حتى من أن يحتمي بأي إنسان ليفلت من العقاب؛ فمن الثابت والمعروف عند العرب إذا أصبح الإنسان في خطر فعلي من شخص آخر، واستطاع هذا الشخص لمس عربي ثالث كائنًا من كان، حتى وإن كان شقيق المعتدَى عليه، أو حتى عندما يلمس جمادًا في يديه، أو يلمس أي جزء من أجزاء جسمه حتى لو كان عن طريق البصق عليه أو رميه بحجر، ويستجير قائلاً (أنا دخيلك) بمعنى (أنا في حمايتك)، أو عندما يقول (تراني بالله وبك أنا دخيلك) يصبح بعد ذلك غير معرض لأي خطر، ويضطر الطرف الثالث للدفاع عنه، ولذلك أمر بعمل حفرة في أرضية الخيمة، يصل عمقها إلى حوالي قدمين، وبطول اللص بحيث عند القبض عليه يتم وضعه في هذه الحفرة بعد ربط قدمية بسلسلة في الأرض، وربط يديه كذلك، مع تثبيت شعره الملوي على وتدين على جانبي رأسه، وإقامة بعض الأعمدة وأكياس القمح الثقيلة حول الحفرة. انظر: بوركهارت، ملاحظات عن البدو الوهابيين، مصدر سابق، ص ١١٣.

(١٨٩)بريتون، مصدر سابق، ص ٢٠٩.

(١٩٠) فراير، مصدر سابق، ص ٧٥.

(١٩١) نواب، مرجع سابق، ص ص ٥– ٢٣٤.

(١٩٢)الحضيكي أحمد، الرحلة إلى الحجازية، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، ٢٠١١م، ص ٩٧.

(١٩٣)البادي عوض، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص ص ٢– ٦١.

(١٩٤) نفسه.

(١٩٥)السنجاري تقي الدين، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم الفترة من ٤١هـ إلى ٨٢٩هـ، ج ٢، دراسة وتحقيق: جميل عبد الله، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٨م، ص ١٢٩.

(١٩٦) عقيل، مرجع سابق، ص ٦٧٣.

(١٩٧)سنان معروف، مرجع سابق، ص ص ٩– ٨٨.

(١٩٨)المكناسي عبد الوهاب، رحلة المكناسي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ص ٢– ٢٦١؛ النابلسي إسماعيل، الحقيقة والمجاز إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ت، ص ٣٢٤.

(١٩٩) الدرعي، مصدر سابق، ص ٥٥٥.

(٢٠٠) الخطيب محمد عوض، مرجع سابق، ص ص ١٣٩، ١٤٠.

(٢٠١) المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٢٠٢) بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ٢، مصدر سابق، ص ٢٧٣.

(٢٠٣) كان وادي السرحان من الأودية المفضلة لدى اللصوص، حيث تتم سرقة الكثيرين فيه سواءً من المقيمين به، أو من الرَّحّالة الذين يخيمون فيه لبعض الوقت. انظر: بلنت آن، الحج إلى نجد مهد العرق العربي زيارة بلاط الأمير العربي، ورحلتنا الفارسية، ترجمة: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠٠٧م، ص ١٢٠.

(٢٠٤) بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ١، مصدر سابق، ص ٣٢.

(٢٠٥) بلنت آن، مصدر سابق، ص ص ١٤٢، ٢١٠.

(٢٠٦) عقيل، مرجع سابق، ص ص ٥٢٢، ٥٢٣.

(٢٠٧) بالجريف: وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ١، مصدر سابق، ص ص ١– ٣٢٠.

(٢٠٨) شارل هوبير، مصدر سابق، ص ص ٢– ٣١.

(٢٠٩) بالجريف: وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ١، مصدر سابق، ص ص ٦– ٣٦٥.

(٢١٠) بالجريف: وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ٢، مصدر سابق، ص ١٥٧.

(٢١١)وادي فحل من الأودية الشرقية، وكثيرًا ما يطلق عليه وادي سبيع، وذلك أن كثيرًا من بطون قبيلة سبيع تقيم في هذا الوادي وعلى جنباته، ويسيل وادي رنية من سراة غامد على قرابة مائتين وثلاثين كيلو مترًا جنوب الطائف، ثم ينحدر شمال شرق. انظر: تاميزيه، مصدر سابق، ص ١٣١.

(٢١٢)المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٢١٣) رحالة فرنسي، ولد سنة ١٨١٢م تقريبًا، رحل إلى بلاد الحجاز سنة ١٨٣٤م/ ١٢٥٠ه، برفقة الحملة المصرية كأمين سر ومساعد لأحد الأطباء. عنه بالتفصيل انظر: المصدر السابق، ص ص ٦– ١٥.

(٢١٤)تاميزيه، مصدر سابق، ص ١٦٣.

(٢١٥) جرت العادة أن يتعاقد الحجاج على الرحلة مع أحد المقومين؛ والمقوم هو واحد من أولئك الذين يتعهدون بتوفير الإبل والمؤن والتموينات المطلوبة للحج، ويتولى المقوم الواحد أمر عدد من الحجاج يتردد بين عشرين وثلاثين حاجًّا، وهذا يعني أن المقوم هو الذي يقوم على أمر الخيام، وإعداد القهوة، وتوفير الماء، وإعداد الفطور اللازمين للحجاج، وبذلك لا يشارك الحجاج على أي نحو من الأنحاء في هذه الأمور، وبغض النظر عن عدم توفر التموينات على الطريق، فإن المقوم هو المسئول عن توفير الوجبات المطلوبة للحجاج، وبلغ أجر المُقوم عام ١٨١٤م/ ١٢٢٩ه بما في ذلك الطعام حوالي مائة

وخمسين دولارًا من دمشق إلى المدينة المنورة، يضاف إليها خمسون دولارًا أخرى من المدينة المنورة إلى مكة، ويدفع المقوم من هذا المبلغ حوالي ستين دولارًا للجمال الذي يقتاد الجمل أثناء السير في الليل، وهذا احتياط ضروري في مثل هذه القوافل الكبيرة تحاشيًا لنوم الراكب أثناء السفر، الأمر الذي يجعل الجمل يسير على هواه، ويخرج عن خط السير المحدد، ويتلقى المقوم علاوة على الأجر المحدد بعض الهدايا من الحجاج، وعند العودة إلى سوريا يكون المبلغ أقل نظرًا لعودة عدد كبير من الإبل بلا أحمال. انظر: بوركهارت، ترحال في الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ١٠.

(٢١٦)إبراهيم عبد الغني، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

(٢١٧)بيتس، مصدر سابق، ص ص ٢٨، ٣٨.

(٢١٨)الورثلاني، مصدر سابق، ص ص ٧٤– ١٧٣.

(٢١٩) عقيل، مرجع سابق، ص ٦٩٦.

(٢٢٠)بيتس، مصدر سابق، ص ٤٤.

(٢٢١)شيخ البؤسن: هي ترجمة للكلمة الإنجليزية Bo'sen، والتي هي اختصار للكلمة Boatswain، والتي تعني "فتى المركب" أو البحّار. انظر: فراير، مصدر سابق، ص ١٩٦، هامش ١.

(٢٢٢)المصدر السابق، ص ص ١٧٦، ١٧٧.

(٢٢٣)فراير، مصدر سابق، ص ص ١٨٦– ١٨٩.

(٢٢٤) عقيل، مرجع سابق، ص ص ٦٥٩، ٦٦٠.

(٢٢٥)بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ١، مصدر سابق، ص ص ٣– ٦٢.

(٢٢٦)نفسه.

(٢٢٧)فراير، مصدر سابق، ص ص ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٢. وراجع: بلمداني نوال، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٢٢٨)بوركهارت، ترحال في الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ص ٦– ٦٥.

(٢٢٩)بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ١، مصدر سابق، ص ص ٤– ٢٦٣.

(٢٣٠)تاميزيه، مصدر سابق، ص ٢٢١.

(٢٣١)سورة المائدة: الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٢٣٢)مجموعة مؤلفين: الموسوعة الفقهية، ٣ أجزاء، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ربيع الأول ١٤٣٣ه، ج ٣، ص ٢٤١.

(٢٣٣) الورثلاني، الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٨م، ص ٦١٦.

(٢٣٤) الناصري، أبو عبد الله، الرحلة الناصرية الكبرى، ج ١، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٥٠١.

(٢٣٥)أويتنج، مصدر سابق، ص ٢٦٥.

(٢٣٦) بلنت آن، مصدر سابق، ص ٢١٠.

(٢٣٧) نفسه.

(٢٣٨)بوركهارت، ملاحظات عن البدو الوهابيين، مصدر سابق، ص ص ٦- ١١٤.

(٢٣٩) الضياء المقدسي أبي عبدالله محمد، صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث، تحقيق: حمزة أحمد الزين، ج ٣، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٩م، ص ٣١٣.

(٢٤٠) محمد جواد، فقه الإمام جعفر الصادق، مج ٥، جامعة ميتشجان، ١٩٦٥م، ص ٣٠٢.

(٢٤١) الورثلاني، ج ١، مصدر سابق، ص ٦١٦.

(٢٤٢)فراير، مصدر سابق، ص ص ١٨٧- ١٨٩.

(٢٤٣)بوركهارت، ملاحظات عن البدو الوهابيين، مصدر سابق، ص ص ١١٤- ١١٦، ١١٨، ١١٩.

(٢٤٤)المصدر السابق، ص ص ٦- ١١٤.

(٢٤٥)بوركهارت، ملاحظات عن البدو الوهابيين، مصدر سابق، ص ص ٩- ١١٨.

(٢٤٦) المصدر السابق، ص ص ٦- ١١٤.

(٢٤٧) بوركهارت، ترحال في الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص ص ٣- ١٢؛ إبراهيم عبد الغني، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

(248)) Mason, A.D& Barny, F. J, The History of Arabian Mission, New York, The United States of America, 1926, P. 15.

(٢٤٩)بوركهارت، ترحال في الجزيرة العربية، ج ٢، مصدر سابق، ص ١٣.

(250)) Mason, A.D& Barny, F. J, The History of Arabian Mission, P. 15.

(٢٥١)أوتنج، مصدر سابق، ص ٢٦١.

(٢٥٢)بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢- ١٨٦٣م)، مج ١، مصدر سابق، ص ص ٤- ٥٣.

(٢٥٣)بوركهارت، ملاحظات عن البدو الوهابيين، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٢٥٤)المصدر السابق، ص ص ١٠١، ١١٤- ١١٦، ١١٨، ١١٩.

## المصادر والمراجع

### أولًا: المصادر:

### ١- كتابات الرحالة الأجانب بلغتها الأصلية:


- Mason, A.D& Barny, F. J, The History of Arabian Mission, New York, The United States of America, 1926.
- Palgrave, William. Gifford, Narrative of a Year's Journey Through Central and Eastern Arabia: 1862-63, Macmillan, 1871, pp. 282-3.
- Samuel, ZWemer, Arabia, The Cradle of Islam, Studies in The Geography, People and Politics of the Peninsula with an account of Islam and Mission Work, Fleming H. Revell Company, The United States of America,1900.
- Stanford, J. Shaw & Ezel, Kural. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: Reform, Revolution, and Republic: The Rise of Modern Turkey, 1808–1975, Vol. 2, Cambridge University Press, Cambridge ,1977.
- Zaman, H. & Aqeel, A, Preliminary Magnetic Susceptibility Results from the Northwestern Part of Madinah, Saudi Arabia: Environmental Degradation of Wadi, Vol. 8, Open Journal of Geology, No. 4, 2018.


### ٢- كتابات الرحالة المترجمة للعربية:


- آن بلنت، الحج إلى نجد مهد العرق العربي زيارة بلاط الأمير العربي، ورحلتنا الفارسية، ترجمة: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠٠٧م.
- بايارد تايلور، الترحال في جزيرة العرب، ترجمة: رنا جزائري، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م.
- بوركهارت جوهان لودفيج، مواد لتاريخ الوهابيين، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٥م.
- تشارلز داوتي، ترحال في صحراء الجزيرة العربية، ج ١، ترجمة: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٩م.

- جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة: قدري قلعجي، تقديم: الشيخ حمد الجاسر، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٣م.
- جوزيف بتس، رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.
- جول جرفيه كورتيلمون، رحلتي إلى مكة في عام ١٨٩٤م، ترجمة: أحمد إيبش، دار الكتب الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣م.
- جون لويس بوركهارت، ملاحظات عن البدو الوهابيين جرى جمعها خلال التجوال في الشرق، ج ١، ترجمة: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ----------، ترحال في الجزيرة العربية يتضمن تاريخ مناطق الحجاز المقدسة عند المسلمين، ج ٢، ترجمة: محمد صابر عرب، المركز القومي للترجمة، ط ١، ٢٠٠٧م.
- جون فراير، ستة أشهر في الحجاز، رحلتان إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في عام ١٨٧٧– ١٨٧٨م، ترجمة: إنعام إيبش، دار الكتب الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م.
- روبن بدول، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة: عبد الله آدم نصيف، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٩م.
- ريتشارد ف بريتون، رحلة بريتون إلى مصر والحجاز، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- شارل ديديه، رحلة إلى رحاب الشريف الأكبر شريف مكة المكرمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤م، ترجمة: محمد خير البقاعي، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- شارل هوبير، رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨– ١٨٨٢م الحماد، الشمر، القصيم، الحجاز، ترجمة: إليسار سعادة، دار كتب، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.
- عبد العزيز دولتشين، الرحلة السرية للعقيد الروسي عبد العزيز دولشتين إلى الحجاز سنة ١٨٩٨– ١٨٩٩م، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.
- فورتر سادلير، مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام ١٨١٩م، ترجمة: أنس الرفاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م.

- كارل الرضوان، الخيام السود في بلاد العرب، قصة ضابط عاش ربع قرن مع عشائر الشام والحجاز، ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، مكتبة الجامعة الهاشمية، ط ١، ١٩٨٣م.
- موريس تاميزيه، رحلة في بلاد العرب (الحملة المصرية على عسير ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م)، ترجمة: محمد عبد الله آل زلفه، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٩٩٩م.
- نيبور كارستن، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ج ١، ترجمة: عبير المنذر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م.
- يوليوس أويتنج، رحلة إلى داخل الجزيرة العربية، ترجمة: محمود كبيبو، وعماد غانم، الفرات للنشر والتوزيع، العراق، ١٨٩٦م.
- وليم جيفورد بالجريف، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ١، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ----------، وسط الجزيرة العربية وشرقها (١٨٦٢– ١٨٦٣م)، مج ٢، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م.


**٣– كتابات الرحالة العرب:**


- أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، ط ٢، ٢٠١١م.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي، الرحلة إلى الحجازية، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، ط ١، ٢٠١١م.
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، ج ١، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط ١، ٢٠١٣م.
- الحسين بن محمد الورثلاني، الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٨م.
- ----------، الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج ٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م.
- حمد العياشي بن الحسن اليوسي، رحلة اليوسي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، ٢٠١٨م.

- محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، ط ١، ٢٠٠٣م.
- علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم الفترة من ٤١هـ إلى ٨٢٩هـ، ج ٢، دراسة وتحقيق: جميل عبد الله، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٨م.
- ----------، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم الفترة من ١٠٩٧هـ إلى ١١٢٤هـ، ج ٥، دراسة وتعليق: ملك محمد خياط، جامعة أم القرى، ط. مكة المكرمة، ١٩٩٨م.
- غازي علي عفيفي، كتابات الرحالة مصدر تاريخي، مجلة العربية، الرياض، ١٤٣٩هـ.


**ثانيًا: المراجع:**


- أبي عبدالله محمد الضياء المقدسي، صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث، ج ٣، تحقيق: حمزة أحمد الزين، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.
- أحمد بن زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، مطبوعات أرض الحرمين، د. م. ن، د. ت.
- إسماعيل حقي جارشلي، أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ترجمة: خليل علي مراد، دار العربية للموسوعات، ط ١، ٢٠٠٣م.
- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، د. م، ط ٢، ٢٠٠١م.
- حامد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الاصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، ١٣٥٤هـ.
- محمد جواد، فقه الإمام جعفر الصادق، مج ٥، جامعة ميتشجان، ١٩٦٥م.
- محمد بن صنيتان، السعودية السياسي والقبيلة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، (د. ت).
- عارف أحمد عبد الغني، تاريخ أمراء المدينة المنورة (١هـ– ١١٧هـ)، دار كنانة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، د. ت.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي ١٢٢٨– ١٢٣٤هـ/ ١٨١٣– ١٨١٨م، مج ٢، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠١م.
- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية ١٥٠٠– ١٨٤٠، ج١، دار الساقي، لبنان، ط ١، ٢٠١٣م.
- عبدالله سليمان، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، عنيزة، ١٤٢٠هـ.

- عبد الله بن صالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية: الدرعية والدولة السعودية الأولى، دار إشبيليا، الرياض، ١٩٩١م.

----------، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٩م.

- عبد الغني إسماعيل النابلسي، الحقيقة والمجاز إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ت.
- علي أحمد خضر المعماري و أحمد عبدالعزيز الهسنياني، دراسات في علم الإجرام، المنهل، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
- عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (دراسة تحليلية نقدية مقارنة)، دارة الملك عبد العزيز، ط. المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- عوض البادي، الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر (حائل، القصيم، الرياض)، دار بلاد العرب للنشر، المعهد العربي للدراسات الدولية، ط ١، ١٩٩٧م.
- ---------، الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية منطقة الجوف ووادي السرحان ١٨٤٥-١٩٢٢م، الدار العربية للموسوعات، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٠٢م.
- فاسيلييف، ألكسي، تاريخ العربية السعودية، ترجمة: د. إبراهيم الديواني، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م.
- محمد بن حسن عقيل، المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، مج ١، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٠٠م.
- محمد بن عبدالله بن سليمان، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، عنيزة، ١٤٢٠هـ.
- محمد حامد الفقي، أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها، ١٣٥٤هـ.
- محمد عوض الخطيب: صفحات من تاريخ الجزيرة العربية الحديث، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٦م.
- معروف سنان، نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني، دار الساقي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.
- مجموعة مؤلفين، الموسوعة الفقهية، ٣ أجزاء، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ربيع الأول ١٤٣٣هـ، ج ٣.

**ثالثًا: الأبحاث العلمية:**


- ابتسام عبد الله شيخ الصافي، التحدي السعودي للعثمانيين في الحجاز في القرن التاسع عشر الميلادي: الأسباب والنتائج، مجلة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية، ط. جامعة الملك خالد، مج ٤، عدد (٤)، أكتوبر ٢٠٢٣م.
- ----------، تقرير عن الأوضاع السياسية والدينية والاقتصادية في الحجاز خلال القرن العاشر الهجري في ضوء المصادر المعاصرة، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، ط. مجلس التعاون لدول الخليج العربية، العدد (١٩)، أبريل ٢٠٢٤م.
- إحسان الفقيه، العثمانيون وأرض الحجاز. مقال منشور بتاريخ ٦ يونيو ٢٠٢٣م بموقع:

https://ehssanalfakeeh.com/?p=6754

- أحمد محمود أبو زيد، الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، أدباء ورحالة ومؤرخون وعلماء في الحجاز(١)، المجلة العربية، الرياض، ط ١، ١٤٣٥هـ.
- بلمداني نوال، فئة السّراق في الحجاز خلال القرن ١٢هـ/ ١٨م دراسة في العناصر والممارسات"، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مج ١٣، عدد (٢)، يوليو ٢٠٢٢م.
- حمد الجاسر، العملات المتداولة في الجزيرة العربية، مجلة العرب، العددان (٥، ٦)، ١٩٨٠م/ ١٤٠٠هـ.
- حمد محمد جاسم القحطاني، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في إقليم الحجاز، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد (١٠٤)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٢م.
- حياة بنت مناور الذياني الرشيدي، جدة بين رحالتين من كتابات "صفحات من تاريخ مكة (١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م) و كورتلمون "رحلتي إلى مكة" ( ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م) دراسة تحليلية نقدية مقارنة، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، مج ٤٨، ديسمبر ٢٠٢٠م.
- سعاد لبصير، الرحلة الحجازية في العهد العثماني (١٥١٨- ١٨٣٠م) مصدر أساسي للكشف عن الحدث التاريخي الاجتماعي "الآفات الاجتماعية نموذجًا"، مجلة التراث، مج ١، عدد ١، جامعة الجلفة، الجزائر، ٢٠١٨م.
- عزيزة غنام، أوضاع وسط الجزيرة العربية قبيل ظهور الحركة الوهابية، دراسات في آثار الوطن العربي، مصر، (د. ت).
- عقوني أيوب، اللصوصية والولي في مجتمع المغرب الأوسط (٥- ٩هـ/ ١١- ١٥م)، مجلة العلوم والآداب الإنسانية، مج ٢٢، عدد (٢)، قسنطينة، ٢٠٢٣م.

- مريم بنت خليفة العتيبي، الوضع الأمني في نجد خلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، العدد (١)، مج (١٧)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، ٢٠٢٣م.
- منى بنت علي الفلاج، السلب في العربية "دراسة صرفية لغوية"، مجلة الدراسات اللغوية، مج ١١، عدد(٣)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، رجب –رمضان ١٤٣٠هـ.

**رابعًا: المعاجم والقواميس:**

- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، مادة سلب، دار المعارف، القاهرة د.ت.
- عاتق بن غيث البلاذي، معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٠م.
- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، ط٤، ٢٠٠٤.